معالم تاريخ مدينة زغوان وبعض مظاهر حضارتها في القرون السبعة الأولى للهجرة (القرن السابع حتى القرن الثالث عشر الميلادي)

د. محمود كامل محمد السيد عبد الكافي[١]

ملخص البحث:

البحث في تاريخ المدن–لاسيما المغمورة منها–من الأمور التي تستهوي الباحث من أجل تسليط الضوء على تلك المدن، وإبراز دورها التاريخي.ومدينة زغوان من المدن التي لم تلق ما هي جديرة به من عناية في نطاق البحوث المغربية، فمن هنا تطلع الباحث إلى بحث عن المدينة:جغرافيتها، ونشأتها، وتطورها عبر التاريخ.خاصة أن المدينة كانت قاعدة عسكرية تنطلق منها جيوش البربر لحرب المسلمين في إفريقية طيلة فترة الفتح الإسلامي.فضلاً عما تتمتع به زغوان من آثار رومانية فريدة التصميم، من معابد وحنايا مياه كان لها دور عظيم في إيصال مياه جبل زغوان إلى قرطاجنة. وكشفت الدراسة أيضًا عن دور حكام المسلمين في ترميم تلك الحنايا وصيانتها، لاسيما في العصرين الفاطمي والحفصي،كما أبرزت قيمة جبل زغوان كمركز للإشعاع الروحي والتصوف، والتجرد لعبادة الله، وملجأ للزهاد و الورعين والفارين من الاضطهاد.

Abstract:

Researching the history of cities – especially the submerged ones – is one of the things that attracts the researcher in order to shed light on these cities and highlight their historical role. The city of Zaghouan is one of the cities that did not receive the attention it deserves in the scope of Moroccan research. From here, the researcher aspired to research the city: its geography, its origins, and its development throughout history. Especially since the city was a military base from which the Berber armies launched to war Muslims in Ifriqiya throughout the period of the Islamic conquest. In addition to what Zaghouan enjoys of unique Roman ruins, including temples and water fountains that had a great role in bringing the

[١] مدرس التاريخ الإسلامي – كلية التربية – جامعة مطروح

waters of Mount Zaghouan to Cartagena. The study also revealed the role of Muslim rulers in restoring and maintaining these niches, especially in the Fatimid and Hafsi eras. It also highlighted the value of Mount Zaghouan as a center of spiritual radiance and mysticism, a detachment to the worship of God, and a refuge for pious ascetics and those fleeing persecution.

مقدمة:

مدينة زغوان إحدى مدن إفريقية المغمورة – وإن كانت معروفة منذ العصر الروماني– وكانت تمتاز بوفرة خيراتها، وثرواتها الاقتصادية الكبيرة، المتمثلة في غزارة مياها وخصوبة أرضها؛ مما جعلها محطًا للأطماع منذ القدم.ومن دواعي اهتمامي بدراسة هذا الموضوع أنني لم أعثر على دراسة مستفيضة قديمة أو حديثة تعطينا فكرة شاملة عن تاريخ تلك المدينة زغوان وبعض مظاهرها الحضارية، فكان هذا من الدوافع لهذا البحث.ومما دفعني إليه أيضًا خلو المكتبة العربية من دراسة مماثلة فيه، ناهيك عن أن الدراسات السابقة لم تتحدث عن مدينة زغوان في فترات العصر الإسلامي؛ إذ تعرضت بالحديث عن زغوان ومنشآتها المائية في العصر الروماني،وبعض إشارات عنها في فترة التاريخ الحديث[٢].

ولا ريب في أن مثل هذه الموضوعات لا تخلو من صعوبات–حاول الباحث التغلب عليها– تتمثل في قلة المصادر والمراجع التي يجب الرجوع إليها للتوضيح ولاستكمال الدراسة بالشكل العلمي السليم المعتمد، كما

---

[٢] ومن أبرز هذه الدراسات السابقة :

- الحبيب بن حسن ، حناية زغوان قرطاج، مجلة الحياة الثقافية الشهرية، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث ، تونس، عدد١٩١، ٢٠٠٨م.
- فاضل هاني، المنشآت المائية التقليدية وتوظيفها السياحي بالبلاد التونسية مسلك حنايا المياه–من زغوان إلى قرطاج أنموذجا ، مجلة العلوم الاجتماعية، جانفي، العدد ٢٢، لسنة ٢٠١٧م.
- محمد قريرة وفتحي جراي، مقدمة تاريخية زغوان وجهتها من الفترة القديمة إلى الفترة المعاصرة ، مجلة مختارات من الأيقونة التراثية بولاية زغوان، شركة ميم للنشر، تونس، ٢٠١٨م.
- منية عديلي، مجلة التراث الثقافي للماء في الشرق الأوسط والمغرب العربي، ط٢، المركز الإقليمي العربي للتراث العالمي ، فرنسا، ٢٠١٩م.

أن المعلومات التي تزودنا بها المصادر المغربية عن تلك المدن موجزة للغاية وهي عبارة عن شذرات متناثرة في بطون المصادر مما اضطرني إلى إطالة فترة البحث.

وفيما يتعلق بالمنهج المتبع في البحث، فمنهج البحث التاريخي بمختلف أدواته:من وصف، وتحليل، واستقراء، واستنباط، ومقارنة؛ من أجل التوصل إلى دراسة واضحة وشاملة لتاريخ مدينة زغوان من الناحيتين التاريخية والحضارية.

وقسمت الدراسة إلى مقدمة وأربعة مباحث، وتضمنت المقدمة موضوع الدراسة، وأهميته، والدراسات السابقة، وأسباب اختيار منهج الدراسة.وخصصت المبحث الأول للتعرف على تسمية زغوان وجغرافيتها من ناحية الموقع والحدود، وأهم المدن والقرى القريبة منها، وجبالها، والمواضع التابعة لها، معتمدًا على كتب الجغرافيا والرحلات.وأفردت المبحث الثاني للحديث عن معالم تاريخ زغوان في القرون السبعة الأولى للهجرة، بدءًا من الفتح الإسلامي لإفريقية، مرورًا بعصر الولاة قبل عهد حسان بن النعمان وبعده،خاصة موسى بن نصير.وعرضت لتاريخ زغوان في عصر الأغالبة، ثم زغوان ما بين إمارة الزيريين وغزوة بني هلال وحتى عصر الموحدين. كما أشرت في المبحث الثالث إلى جبل زغوان كمركز للإشعاع الروحي والتصوف، وملجأ للزهاد والورعين والفارين من الاضطهاد.وعرضت في المبحث الرابع حنايا زغوان في العصر الإسلامي، ودور حكام الفاطميين والحفصيين في ترميمها وصيانتها.وختمت الدراسة بخاتمة تُجمل أغراضها واستنتاجاتها، ثم أوردت بعض الصور التي تشمل معبد زغوان، وحناياها العظيمة، كما أوردت أيضًا بعض الخرائط التي تشمل بعض مواقع موضوع الدراسة موضحًا بها مدينة زغوان وجبلها، وبعض المدن المجاورة لها.

المبحث الأول: تسمية المدينة وجغرافيتها

أولاً: التسمية

زغوان –بفتح الزاي وسكون الغين المعجمة–أو(زعوان)–بالضم والعين المهملة–إحدى مدن البربر، ومعناها بلغتهم:(المساكن)[٣]، وكانت زغوان تعرف في العصر الروماني باسم زيغوا Zigua أو زيكة Ziqua[٤]

[٣] أبو الفداء(ت٧٣٢هـ) كتاب تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت، ص١٤٣، البستاني، دائرة المعارف، مطبعة الأدبية، بيروت، ١٨٨٧م، م٩، مادة زغوان، ص٢٣٠، عثمان الكعاك، الرحلة الشابية، تحقيق محمد رؤوف بلحسن، تونس، ٢٠٠٩م ،ص٣٤.

[٤] روبار برنشفيك، إفريقية في العهد الحفصي من القرن ١٣ إلى نهاية القرن ١٥م، ط١، نقله الى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م،ج١، ص٣٣٤، عثمان الكعاك ،الرحلة الشابية، ص٣٥.

وهي كلمة لاتينية فيها دلالة على الماء؛ وذلك لاحتوائها على ينابيع عذبة، ومياه جوفية، ولارتباطها بجبل زغوان الذي تنبع منه العديد من عيون المياه الطبيعية، وسُميّ عند الرومان باسم زنجيسمون[٥].وهو عبارة عن سلسلة جبلية سميت بها المدينة المحيطة بها.وعرف جبل زغوان في العصر الإسلامي باسم كلب الزقاق (الطريق الموصل للجبل)؛لظهوره، وعلوه وارتقائه في الجو[٦].

ويتضح من خلال تسمية المدينة أن جبل زغوان يمثل جزءًا مهمًّا من تاريخ المدينة عبر العصور حيث كانت له أهمية بالغة تتمثل في تشكيل موانع طبيعية ضد الغزاة، وفي حفظ وتخزين المياه الجوفية مما ساهم في وفرة المياه وجودة الزراعة.

ثانيًا: الموقع الجغرافي لمدينة زغوان :

تقع مدينة زغوان ضمن حدود المغرب الأدنى(إفريقية)، وكانت قاعدته في البداية مدينة القيروان ثم أصبحت مدينة تونس منذ العصر الحفصي (٦٢٦ – ٩٨١ هـ / ١٢٢٧ – ١٥٧٣م)، وهي في مفترق طرق، مما جعل لها أهمية تجارية كبيرة.أما عن الموقع الجغرافي بين زغوان وتونس، فأشارت بعض المصادر الجغرافية إلى أن زغوان تقع بالقرب من تونس وبالتحديد ناحية القبلة أي الجنوب الغربي منها، وأن المسافة بينهما تقدر بمرحلة[٧] أي مسيرة يوم[٨]، ولايتفق هذا التقدير مع ما أشار إليه أبو الفداء[٩] الذي قدر المسافة بينهما

---

[٥] البستاني، دائرة المعارف،م٩، ص٢٣٠.

[٦]الإدريسي(ت٥٦٠هـ) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ج١، ص٢٩٤، الحميري(ت٧٢٧هـ) الروض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٨٤، ص.٢٩٤.

[٧] والمرحلة هي المسافة التي يقطعها المسافر سيرًا على الدابة في يوم واحد، وتقدر بأربعة وعشرون ميلاً(نسيبة الحريري ، المقاييس والمقادير عند العرب،دار الفضيلة للنشر،القاهرة ، د.ت، ص٦٥).

[٨] البكري(ت٤٨٧هـ) المسالك والممالك، ط١، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ج٢، ص٢٢٢، ياقوت الحموي(ت٦٢٦هـ)معجم البلدان، دارصادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج٣، ص١٤٤، البستاني، دائرة المعارف ، م٩، ص ٢٣٠.

[٩] أبو الفداء، تقويم البلدان، ص١٤٣.

بمسيرةيومين[١٠]،وهذا هو الأرجح؛ إذ عليه أغلب الجغرافيين.[١١] كما تبعد زغوان عن القيروان مسيرة يوم واحد[١٢] وهذا يؤكد ما ذكره الإدريسي بأن جبل زغوان يقع بين تونس والقيروان.[١٣] وتحدد لنا بعض المصادر الجغرافية

حدود زغوان مع المدن والقرى المجاورة بأنها تقع بالقرب من جزيرة شريك(باشو) الساحلية[١٤] ،وبالقرب أيضًا من مدينة الأُربُس[١٥] التي تقع غرب جبل زغوان.[١٦]

---

[١٠] والميل يساوي أربعمائة ذراع، أي حوالي ٢كم٤، فالمسافة بين تونس وزغوان تقدر بحوالي ٦٠كم، أي مسيرة يومين.(فالترهنتيس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمه عن الألمانية، الدكتور كامل العسيلي، منشورات الجامعة الأردانية، عمان، ١٩٧٠م، ص٩٥).

[١١] أبو الفداء، كتاب تقويم البلدان، ص١٤٣، القلقشندي(ت٨٢١هـ) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢م، ج٥، ص٩٩، الوزان الفاسي ، وصف أفريقيا ،ط٢، .ترجمة محمد حجي ، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ١٩٨٣م، ج٢، ص١٠٤.

[١٢] ابن عذاري(كان حيًا ٧١٣هـ) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط٣، تحقيق ج. س.كولان، أ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٤٨م، ج١، ص٤٠.

[١٣] نزهة المشتاق، ج١، ص٢٩٤.

[١٤]جزيرة شريك كانت عامرة وبها مدن وقصور كثيرة –أعظمها المنزل الكبير المعروف باسم باشو–وخيرات ومزارع حسنة، وهي بين مدينة سوسة ومدينة تونس، ويحدها جنوباً ناحية البر جبل زغوان، وسميت جزيرة شريك نسبة إلى شريك العبسي الذي كان واليًا عليها، فتحت الجزيرةعام ٥٩هـ /٦٧٩م في عهد أبي المهاجر دينار والي إفريقية عندما بعث إليها حنش بن عبد الله الصنعاني الذي قتل أهلها وسبى سبيًا عظيمًا.(البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٢١٩–٢٢٢، التجاني(ت بعد سنة ٧١٧هـ) الرحلة، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨١م، ص١١، الحميري، الروض المعطار، ص٢٩٤،ابن أبي دينار(المتوفي بعد سنة ١١١٠هـ) المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط١، مطبعة الدولة التونسية، ١٢٨٦هـ، ص٢٦، الوزير السراج(ت١١٤٩هـ)، الحلل السندسية في الأخبار التونسية،ط١، مطبعة الدولة التونسية، ١٢٨٧هـ، ص٣٠٥).

[١٥] الأربس هي مدينة يحيط بها ماء البحر، و تقع غرب جبل زغوان، ضمن حدود المغرب الأدنى، وأشار الجغرافيون إلى المسافات بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام ، وهي من المدن القديمة العتيقة من بناء الرومان أيام الأمبراطور الروماني جوستيان، سار إليها إبراهيم بن الأغلب حين خرج من القيروان، وفي سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م زحف إليها أبو عبد الله الشيعي ودخلها عنوة.(اليعقوبي(ت٢٨٤هـ) كتاب البلدان، تحقيق محمد أمين ضناوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م،ص١٨٧، البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٢٢٣، الإدريسي، نزهة المشتاق،ج١، ص٢٩١–٢٩٤، الحميري، الروض المعطار، ص٢٤، الوزان الفاسي، وصف أفريقيا، ج٢، ص٦٥).

[١٦] البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٢٢٣، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٤٤، الحميري، الروض المعطار، ص٢٩٤، الوزان الفاسي، وصف أفريقيا،ج٢، ص١٠٤.

ثالثا : وصف جبل زغوان :

تحدث عن جبل زغوان عدد كبير من الجغرافين والرحالة والمؤرخين، ووصفه الإدريسي بأنه جبل عال تقصده المراكب لعلوه وارتقائه، وأنه أكثر الجبال ماء، وفيه خصب ومزارع وعمارة[١٧] وقال الحميري إنه جبل عظيم الشأن، يُرى من مسافة كبيرة جدًا، لعلوه وشموخه، ولضخامة هذا الجبل كان أهل إفريقية يشبهون به ثقيل الظل من الناس.[١٨] أي أن السر فيما ذكرته كتب الجغرافيين من اهتداء السفن في البحر بجبل زغوان أنه كان لضخامته يُرى على مسيرة الأيام الكثيرة[١٩]، أما غزارة مائه فمردها إلى الثلوج التي تكلل هامته لارتفاعه، وتذوب في فصل الصيف فتنتج عن ذوبانها تلك المياه الغزيرة، التي تتدفق في جداول من أعلى الجبل إلى سفحه.[٢٠]

أما عن القرى المجاورة لجبل زغوان فهي كثيرة وعامرة بالبساتين والأنعام، كثيرة المياه والثمار، يسكنها خلق كثير، منها قرية فندق شكلة المحلَّة المعروفة[٢١]، وهي تبعد مرحلة من تونس، وهي قرية كبيرة آهلة. ومنها قرية قلمنجة[٢٢] التي شرع في بنيانها الخليفة أبو القاسم بن عبيد الله الفاطمي[٢٣]،واتخذها مدينة يسكنها

---

[١٧] نزهة المشتاق، ج١، ص٢٩٤.

[١٨] الروض المعطار، ص٢٩٤.

[١٩] الإدريسي، المصدر السابق، ج١، ص٢٩٤، الحميري، المصدر السابق، ص.٢٩٤

[٢٠] البكري، المصدر السابق،ج٢،ص٢٢٢،القزويني(ت٦٨٢هـ) عجايب المخلوقات وغرايب الموجودات، ط١، تحقيق علي صراط، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٠م، ص١٤٦،الحميري، المصدر السابق،ص٢٩٤، الوزير السراج، الحلل السندسية، ص٣٠٧.

[٢١] يمكن تحديد هذه القرية بدقة نسبية، بفضل البكري، وقد أتاح لنا البكري أن نضعه في ضاحية زغوان، فوصفه بأنه أرض زراعية مزدهرة وهو(المحلة المعروفة) بأسفل جبل زغوان.(البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٢٢٣، محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، ط٢، مراجعة وتحقيق، المنجي الصياد، حمادة الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٥م، ص٢٠١).

[٢٢] قلمجنة: يبدو أنها قرية بير حليمة القريبة من جبل زغوان، غربي فندق شكل. بناها أبو القاسم بن عبيد الله المهدي، وخصصها لإقامة المتسولين الغرباء القادمين من بلاد هوارة ونفوسة، أي من شرق قسنطينة وغرب طرابلس. (البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٢٢٢-٢٢٣، أحمد حمروني ، معجم المدائن التونسية ، ميديا كوم، ١٩٩٨م، ص١٤٢).

[٢٣] أبو القاسم محمد بن عبيد الله، ويدعى نزار بن المهدي الفاطمي، وكان يلقب بالقائم بأمر الله، ولد بمدينة سلمية ببلاد الشام في سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م، واستصحبه والده معه إلى بلاد المغرب، وتمت مبايعته بولاية إفريقية، وجهزه أبوه إلى مصر ليأخذها، فذهب إليها في سنة ٣٠١هـ /٩١٣م، فوصل إلى الإسكندرية وملكها وضيق على أهلها، والمرة الثانية وصل الإسكندرية في سنة ٣٠٧هـ/٩١٩م، توفي في سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م.(ابن الأثير(ت٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار

الغريب السابل من هوارة ونفوسة.[٢٤] أما عن تحديد تاريخ بناء هذه القرية فلم تذكر لنا المصادر سنة نشأتها ولكن الأرجح أنه قام ببنائها بعد مبايعته بولاية إفريقية وقبل أن يذهب إلي مصر أي في سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م.[٢٥]

المبحث الثاني :معالم تاريخ زغوان في القرون السبعة الأولى للهجرة:

لم تذكر المصادر التاريخية إلا معلومات قليلة عن مدينة زغوان خلال العصر الإسلامي، وهي مجرد إشارات لبعض الأحداث السياسية والمظاهر الحضارية، نستعرضها فيما يلي :

لا تحدثنا المصادر التاريخية عن فتحٍ قام به أحد الولاة المسلمين لإقليم زغوان، إلا أنها تذكر أنه في ولاية حسان بن النعمان كانت بداية دخول المسلمين لبعض معاقل البربر، والسؤال المهم هنا هو: لماذا لم يهتم الفاتحون الذين سبقوا حسان بن النعمان بفتح مدينة زغوان ؟

لم تسفر حملات عبد الله بن أبي سرح على إفريقية، وانتصاره في موقعة سبيطلة(٢٧-٢٨هـ/ ٦٤٧-٦٤٨م)[٢٦] الفاصلة إلا عن فتح جزء محدود من السهل التونسي أمام المسلمين، وأخذ الفاتحون ينهبون ما يجدونه حتى جمعوا غنيمة طائلة[٢٧]، ثم أقام ابن أبي سرح معسكره في المنطقة التي بُنيت فيها القيروان فيما

الكتاب العربي، بيروت،٢٠١٢م، ج٧، ص١٦٢، ابن خلكان(ت٦٨١هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج٥، ص١٩-٢٠).

[٢٤] البكري، المسالك والممالك،ج٢، ص٢٢٣.

[٢٥] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص١٦٢، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص١٩-٢٠

[٢٦] سبيطلة: كانت مدينة ملك الروم جرجير و هي التي دخلها المسلمون في جيش عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وهي مدينة كبير وحصينة، بينها وبين القيروان سبعون ميلا، ويذكر ابن عبد الحكم أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح سار إلى قرطاجنة وليس سبيطلة والراجح أنها كتبت خطأ . التقى جيش المسلمين بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح مع جيش الروم بقيادة جرجير، وانقطع خبر عبد الله بن سعد عن عثمان بن عفان فأرسل إليه مددًا بقيادة عبد الله بن الزبير، وهزموا الملك جرجير وجيشه وقتلوا جرجير وفتحوا إفريقية.(ابن عبد الحكم(ت٢٥٧هـ) فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، د.ت، ج١، ص٣٤٦، البلاذري(ت٢٧٩هـ)فتوح البلدان، تحقيق أحمد شوقي أبو خليل، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٧م ، ص٢٣٤-٢٣٥، ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج٣، ص١٨٧، ابن عذاري، البيان المعرب، ج١، ص٩-١٣، أبو الفداء،كتاب تقويم البلدان، ص١٤١).

[٢٧] البلاذري، فتوح البلدان،ص٣٠٨-٣٠٩، ابن عذاري، البيان المعرب، ج١، ص٩، حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص٩٧-٩٨.

بعد[٢٨] ومن هناك أخذ يبث السرايا في أرجاء إفريقية، فبلغت جنوبًا أرض قفصة[٢٩]من بلاد الجريد[٣٠]،كما بلغت حصن الجم[٣١]على طريق سوسة[٣٢] حيث اجتمعت فلول المنهزمين إلى الجزيرة – وهي الجزيرة الواقعة بين تونس وسوسة– التي عرفت باسم جزيرة شريك(القريبة من زغوان).[٣٣]

وعندما سار معاوية بن حديج بقواته عبر برقة وطرابلس في سنة ٣٤هـ/٦٥٤م، ثم اتخذ معسكرًا له في موضع القيروان، وبث من هناك السرايا، فتمكن من فتح عدد من الحصون،كما حصل على غنائم عظيمة، وتمخضت حملته في النهاية عن طرد القوات البيزنطية من ساحل سوسة، والاستيلاء على أهم حصون إفريقية،

---

[٢٨] المالكي(ت٤٤٩هـ) رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، ط٢، تحقيق بشير البكوش، مراجعة محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م، ج١، ص١٩، ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص١٣،سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)،منشأة المعارف ،الإسكندرية ،١٩٩٣م، ج١، ص١٥٨.

[٢٩] اسم اعجمي وهي بلدة صغيرة من طرف إفريقية من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير بالجريد، بينها وبين القيروان ثلاثة أيام.(ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٣٨٢).

[٣٠] المالكي، المصدر السابق، ج١، ص٢١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٤٦٤، ابن عذاري، المصدر السابق، ج١ ص١٢، سعد زغلول، المرجع السابق، ج١، ص١٥٨–١٥٩.

[٣١] الجم كان معروف أيام البيزنطيين باسم Thysderasوكان مركزاً حربياً، وصفه التجاني في رحلته بأنه أعظم حصون إفريقية وأنه ليس بعد الحنايا التي بالقرطاجنة بناء أضخم منه ولا أعجب، وشكلة مستدير وارتفاعه في الهواء مائة ذراع وذكر أما البكري فيسمي قصر الجم ، حصن الكاهنة، ربما لأنها اختفت فيه من العرب أو التقت بجواره معهم في إحدى المعارك.(البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص١٩٣،التجاني، الرحلة، ص٥٧، الوزير السراج، الحلل السندسية، ص٢٩٥، حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص٩٧).

[٣٢] سوسة : مدينة أزلية قديمة، وهي على ساحل البحر قريبة من مدينة القيروان، وفيها بنيان عظيم يسمى الملعب، وهو من أغرب البنيان، وتشتهر بطيب مراعيها، وخارج مدينة سوسة محارس وروابط ومجامع للصالحين وداخلها محرس الرباط وهو مأوى للأخيار والصالحين.(البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٢٠٧–٢٠٨، المراكشي(مؤلف مجهول) كان حيًا في القرن السادس الهجري) الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول ، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥م، ص١١٩–١٢٠).

[٣٣] البكري(ت٤٨٧هـ) المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ص٤٥، التجاني، الرحلة، ص١٣.

وهو حصن جلولاء[٣٤] في سنة ٤٥هـ / ٦٦٥م (وسط إفريقية) ثم توجه معاوية إلى الشمال قاصدًا بنزرت[٣٥]، ومن الغريب أنه لم يقصد قرطاجنة عاصمة إفريقية البيزنطية، وما وراءها من مدن افريقية التي كان العرب يعرفونها حق المعرفة ،ويدركون أهميتها، وربما كان هذا منه لأنه تهيب حصار قرطاجنة لما كان معروفاً عنها من المنعة، ولا نزاع في أن معاوية أخطأ بذلك خطأ كبيرًا؛ فلو أنه ركز جهوده لفتح قرطاجنة لخطا بفتح إفريقية خطوة كبرى[٣٦]، ومنها تفتح له الأبواب إلى مدينة زغوان والمدن المجاورة الأخرى،لكنه انصرف إلى ميناء لا أهمية له، ولم يكن لسقوطه أي أثر في تقدم الفتح العربي لهذه البلاد.

كما تذكر بعض المصادر أنه كانت لعقبة بن نافع وأصحابه أثناء غزوات معاوية بن حديج في سنة ٤٥هـ/٦٦٥م حملة في جنوب البلاد التونسية(بلاد الجريد) –بعيدًا عن الطريق الساحلي الرئيسي المعروف بـ"المحجة العظمى"– وأنه اخترق أرض مُزاتة، وأخضع واحاتها كلها، ثم اتجه نحو قفصة فافتتحها، ثم فتح المنطقة كلها[٣٧].وكان البعد عن الساحل خطة لعقبة لزمها في حملاته كلها؛ وربما كان دافعه إلى ذلك إيثاره الابتعاد عن الإقليم الساحلي الممتلئ بالحصون والمحارس، وتفضيله الطريق الداخلي المقفز الذي لا تكون فيه إلا مقاومة ضئيلة من القبائل البربرية وسكان الواحات. والحق أن عقبة لم يكن على صواب دائماً في التزام هذه الخطة وتجنب غيرها؛ لأنها جعلت غزواته مغامرات قليلة الجدوى؛ لقلة ما فتح في أثنائها من المدن الكبار والحصون المهمة، إضافة إلى ما كان جنوده يلقونه من عنت المسير في تلك النواحي الجبلية القاحلة[٣٨].

---

[٣٤] حصن جلولاء هو المعقل المنيع للروم، وقد اجتمع فيه جيش الروم والمدد الذي وصل إليهم من هرقل في القسطنطينية، وتقع جلولاء على مقربة من القيروان من الناحية الغربية، حيث حاصرها معاوية بن حديج وقاتل مدد الروم الذي جاءها من قسطنطينة، فتح حصن جلولاء سنة ٤٥هـ/٦٦٥م على يدي عبد الملك بن مروان، ثم بث معاوية بن حديج السرايا في إفريقية حتى أطاعه أهلها.(المالكي، رياض النفوس، ج١، ص٣٠، البكري، المسالك والممالك،ج٢، ص٢٠٥، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٤٦٥).

[٣٥] بنزرت: مدينة على البحر، يشقها نهر كبير، وعليها سور صخر، وبها جامع وأسواق وحمامات وبساتين، بينها وبين تونس نحو يومين، وتقع شرق مدينة طبرقة، وتشتهر بالقلاع التي تأوي إليها أهل تلك المنطقة للمرابطة فيها والدفاع عنها من غزاة الروم.(البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٢٣٧، المراكشي الاستبصار، ص١٢٥).

[٣٦] البكري، المسالك والممالك، ص ٥٨، حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب،ص١٢٤–١٢٥.

[٣٧] ابن عبد الحكم، فتوح مصر و المغرب، ج١، ص٢٦٦، المالكي، رياض النفوس، ج١، ص٢٦٤، البكري، المسالك والممالك، ص١٤، سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي، ج١، ص١٨١–١٨٢.

[٣٨] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص١٣٨–١٣٩.

وعندما وصل أبو المهاجر دينار(٥٥-٦٢هـ/ ٦٧٤-٦٨١م) إلى أرض إفريقية ،اتخذ له ولجنده منزلاً قرب قرية بربرية تعرف بـ" دكرور" ،وهذا يعبر عن نهجه في التقريب والمزج بين العرب والبربر، وأن هذا كان الأساس الذي بنى عليه سياسته[٣٩] كما يفهم من بعض الروايات أن أبا المهاجر بدأ نشاطه العسكري جديًّا في سنة ٥٩هـ/٦٧٩م، فبث السرايا نحو الأقاليم التي لم تكن قد فتحت من إفريقية، أي في اتجاه قرطاجنة وفحص تونس، ومن المرجح أنه وصل إلى جبل زغوان للمبيت ثم عاود القتال، وأرسل حنش بن عبد الله الصنعاني بجيش إلى الجزيرة، فافتتحها، وصالح أهلها على أن يخلوا للمسلمين"الجزيرة"-أي جزيرة شريك(المحاذية لزغوان)-ووزع المغانم على العساكر، وبعث بالخمس إلى مصر.[٤٠]

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن القادة السابقين على حسان لم يفكروا في القضاء على الوجود الرومي في قرطاجنة وزغوان؛ خشية من مواجهة الروم في مناطق قريبة من البحر الذي يمكن أن تأتي منه إمدادات للروم.ولم تكن للمسلمين قوة كافية للقضاء على نفوذ الروم في تلك المناطق.ولا يمكن أن يسمى انتصار عبد الله بن سعد بن أبي سرح في سبيطلة، لا يمكن أن يسمى فتحاً لإفريقية؛ إذ كان عليه ليكمل هذا الفتح، أن يتجه شمالاً ليستولى على قرطاجنة ومن ثم مدينة زغوان. كما أن الجند خلال المراحل السابقة للفتح كانوا يحرصون أشد الحرص على ما يصيبون من الغنيمة، فلا يبعد أن تكون كثرة الغنائم قد مالت بهم إلى العودة إلى بلادهم، خوفًا من أن يغير البربر عليهم، ويستعيدوا ما في أيديهم.ترتب على هذا كله عدم استكمال فتح الحصون والقلاع الرومية والبربرية.وربما خاف المسلمون إن هم تقدموا شمالاً أن ينحدر البربر بجموعهم من الغرب فيحصروهم من الجنوب، ويؤدي ذلك إلى هزيمتهم، فضلاً عن أن جيش العرب آنذاك كان صغيراً.

- **زغوان في عهد حسان بن النعمان(٧٤هـ-٦٩٣م/ ٨٥هـ-٧٠٤م):**

ولما أسندت إلى حسان بن النعمان ولاية بلاد المغرب، خرج من مصر سنة ٧٤هـ/٦٩٣م، على رأس جيش لم يدخل بلاد المغرب قبله مثله[٤١]، واتبع خطة عسكرية جديدة، أساسها مقابلة أعدائه من الروم والبربر

---

[٣٩] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب،ص٢٦٦، المالكي، رياض النفوس، ج١، ص٣١-٣٢، ابن عذاري، البيان المعرب، ج٢، ص٢٢، حسين مؤنس، المرجع السابق، ص١٥٤، سعد زغلول، المرجع السابق، ج٢، ص١٩٠.

[٤٠] خليفة الخياط(ت٢٤٠هـ) تاريخ خليفة الخياط، ط١، تحقيق مصطفى نجيب فواز، حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، ص١٣٩، ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب، ج١، ص١٣٩، المالكي، المصدر السابق، ج١، ص٣١-٣٢.

[٤١] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤١٥.

كلاً على حدة؛ حتى يسهل عليه القضاء عليهم .وبدأ حسان بتوجيه ضربته الأولى إلى قرطاجنة عاصمة إفريقية القديمة– ولم يكن العرب قد حاربوها من قبل كما قلنا– [٤٢] ونجح في دخول عاصمة إفريقية في تلك السنة، سنة أربع وسبعين.

وهناك بعض الإشارات التي تضمنتها بعض المصادر تذكر أن حسانًا بعد أن قتل الكاهنة زعيمة البربر البتر في سنة ٨٠هـ/ ٦٩٩م[٤٣] توجه نحو قرطاجنة–بعد أن عاد إليها الروم البيزنطيين مرة أخرى– وفحص[٤٤] تونس، فمر في طريقه بقرية طنبذة[٤٥]،على بعد أميال من تونس فأقام معسكره فيها، ووجه فرقة من جيشه بقيادة مولاه أبي صالح[٤٦] إلى قلعة زغوان، فنزل بموضع أمام القلعة سمى بعدها فحص أبي صالح فأقام به شهرًا[٤٧] فلما استعصت عليه قلعة زغوان بعد قتال استمر ثلاثة أيام، ذهب إليها حسان بنفسه على رأس حملة

---

[٤٢] ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣، ص٤١٥، سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج١، ص٢١٥.

[٤٣] ابن خياط، تاريخه، ص١٨٩، ابن قتيبة(ت٢٧٠هـ) الإمامة والسياسة، مطبعة الفتوح الأدبية، القاهرة، د.ت، ج٢، ص٥٠، سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي،ج١، ص٢٢٦.

[٤٤] الفحص هو المناطق الزراعية الخصبة، وقد كثر استعمال هذا المصطلح في بلاد المغرب والأندلس حيث عرفه ياقوت الحموي بقوله " وسألت بعض أهل الأندلس ما تقصدون به قالوا كل موضع يُسكن – سهلا كان أو جبلا، بشرط أن يُزرع نسميه فحصا " ثم صار علما لعدة مواضع مثل فحص طليطلة وفحص اشبيلية وفحص البلوط شمال قرطبة.(ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٣٦، حسين مؤنس، فجر الأندلس، ط٢، دار المناهل، بيروت،٢٠٠٢م، ص٦٠٥).

[٤٥] طنبذة: هي قرية على مقربة من تونس، وتسمى بالمحمدية.(البكري، المسالك والممالك،ج٢، ص٢١٢، التجاني، الرحلة، ص٨، الحميري، الروض المعطار، ص٣٨٧).

[٤٦] صالح بن منصور الحميري من أهل اليمن، عمل على نشر الإسلام، وتأسيس إمارة نكور في بلاد الريف، انطلاقًا من تمسامان، وأسلم على يده بربر تلك المنطقة، وتزامن هذا مع حملة عقبة بن نافع على المغرب الأقصى. وقد قوى أمره في ولاية حسان بن النعمان؛ إذ اعتمد عليه حسان، وتركه نائبًا عنه حين اضطر للرحيل إلى المشرق.(الرقيق القيرواني(ت بعد٤١٧هـ) تاريخ إفريقية والمغرب، ط١، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دارالفرجاني، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٦٢، ٨٤، البكري، المسالك والممالك، ص٢٧٣، ابن الخطيب(ت٧٧٦هـ) أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام، تحقيق أحمد مختار العبادي، ومحمد إبراهيم الكتاني، نشر دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٤م،ق٣، ص١٧١، ابن خلدون(ت٨٠٨هـ) العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق ومراجعة سهيل زكار، خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١م، ج٦، ص٢٨٣–٢٨٤، أحمد الطاهري، إمارة بني صالح في بلاد نكور، الدار البيضاء، ١٩٩٨م، ص٢١).

[٤٧] المالكي، رياض النفوس، ج١، ص٥٦–٥٧، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤١٨، محمد بن سعيد مقديش(ت١٢٢٨هـ) نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ومناقب السادة الأطهار، تحقيق محمد عثمان، دار الكتب العلمية، ٢٠١١م،ج١،ص٢١٦، الوزير السراج،الحلل السندسية، ص٢٩٤.

ففتحها صلحًا، ورجع إلى معسكره في طنبذة، ومن هناك واصل السير إلى قرطاجنة التي عاد إليها الروم، وضرب حسان الحصار على المدينة الحصينة ونجحت حملات حسان بدخول عاصمة إفريقية الأزلية، وتمكن من طردهم واستردادها، وأمر بتخريب المدينة وقطع القناة التي تجلب إليها الماء من جبل زغوان وهي المعروفة بحنايا زغوان. [٤٨]

يتضح مما سبق ذلك التطور الذي تم على يد حسان بن النعمان في التعامل مع الروم والبربر وفي الفتوحات الإسلامية في إفريقية التي كانت بغرض تأمين الفتوحات السابقة، والسيطرة التامة على البلاد من خلال القضاء على خطر الروم في قرطاجنة وزغوان. كما أن جيوش المسلمين في عهد حسان تضاعفت أعدادها[٤٩] عنها في عهد سابقيه من الولاة.وبنى حسان مدينة تونس، وأنشأ بها دار الصناعة، ومسجدًا جامعاً وداراً للإمارة، بعدما دمَّر قرطاجنة[٥٠] التي كان تدميرها ضرورة حتمية لتأمين تونس من خطر البربر والبيزنطيين، قبل التوسع في فتح معاقل البربر والروم البيزنطيين وحصونهم.

- **فتح زغوان في عهد موسى بن نصير (٨٥هـ-٧٠٤م/ ٩٣هـ-٧١٢م)**

حدث فراغ في السلطة ما بين عزل حسان وتعيين موسى بن نصير، أدى إلى أن نقضت زغوان العهد وخرجت عن الطاعة بعد أن فتحت صلحاً على يد حسان بن النعمان، فلما تولى موسى بن نصير على المغرب في سنة ٨٥هـ/٧٠٤م نهض بحملة للقضاء على بقايا مقاومة البربر، وإخضاع قبائلهم الخارجة عن الطاعة في إقليم زغوان[٥١]، ولعل موسى بن نصير أدرك الخطر البيزنطي البربري من هذه الناحية- لاسيما بعد أن خرب حسان قرطاجنة واتخذ من مدينة تونس عاصمة جديدة- كما قلنا- كما أدرك موسى جيدًا أهمية مدينة زغوان لتونس وأهميتها مصدرًا للمياه .

---

[٤٨] المالكي، المصدر السابق، ج١، ص٥٦-٥٧، الدباغ(ت٦٩٦هـ) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان،ط٢، تصحيح وتعليق إبراهيم شبوح، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٨م، ج١، ص٦٧-٦٨، الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٢٩٤، الحميري، الروض المعطار، ص٢٩٤، سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج١، ص٢٣٢.

[٤٩] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤١٥، ابن عذاري، البيان، ج١، ص٣٤،الوزير السراج، الحلل السندسية، ص٢٩١.

[٥٠] المالكي، المصدر السابق، ج١، ص٤٩، ابن عذاري، البيان، ج١، ص٣٥، الوزير السراج، الحلل السندسية، ص٣٠٨، ٣١٣.

[٥١]ابن قتيبة، الإمامة والسياسة،ج٢، ص٥١، ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٤٠، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،١٩٩٩م،ص١٦٧-١٦٨.

وانتهج موسى بن نصير سياسة جديدة، تتضمن عزماً أكيداً على فتح المغرب بالسيف والعنف مع اصطناع الحذر، وأخبر قادة جيوشه أنه سيسعى أول ما يسعى لاحتلال هذه الجبال والشعاب القريبة من العاصمة؛ لأن العدو يأتي منها. كما رسم موسى بن نصير في خطبته فيهم معالم سياسته، وقيامها على تصفية جيوب المقاومة وتتبع فلول المخالفين فيما بعد من المناطق، على خلاف أسلافه الذين كانوا يتركون العدو خلفهم وينطلقون إلى أقصى البلاد.وعلى هذا الأساس بدأ بفتح قلعة زغوان وما يجاورها سنة ٨٥هـ/٧٠٤م .[٥٢]

شارك في فتح مدينة زغوان أبناء موسى بن نصير لإخضاع قبائل البربر –وكان يسكنها قوم من قبيلة عبدوه البربرية، ويتزعمهم أمير يقال له ورقطان– وكان هؤلاء البربر من سكان جبل زغوان يشكلون خطرًا على حاضرة المسلمين في المغرب القيروان؛ إذ كانوا يغيرون على مراعي المسلمين ومواشيهم بين الحين والآخر، فينهبون ويغنمون، وكانوا أيضًا حلفاء للروم(البيزنطيين)،ينقلون إليهم أخبار المسلمين.[٥٣] لذلك أرسل إليهم موسى بن نصير سرية من خمسمائة فارس، بقيادة عبد الملك الخشيني، فقاتلهم، وقتل زعيمهم ورقطان، وفتح بلادهم.وبلغ سبيهم يومئذ عشرة آلاف رأس[٥٤]، ويعلق على ذلك ابن قتيبة بقوله: "فكان ذلك السبيّ أول سبيّ دخل الحاضرة القيروان".[٥٥]

وتذكر بعض المصادر أن موسى في أثناء فتح زغوان وجه ولده عبد الرحمن[٥٦]،–وقيل عبد الله بن موسى[٥٧]–إلى بعض نواحيها، فأتى بمائة ألف رأس من السبى. وفرقة أخرى على رأسها إبنه مروان[٥٨]–

---

[٥٢] ابن قتيبة، المصدر السابق،ج٢، ص٥١.

[٥٣] ابن قتيبة، نفسه ،ج٢، ص٥٢، ابن عذاري، المصدر السابق، ج١، ص٤٠، الوزير السراج، الحلل السندسية، ص٣٠٧، عبد الواحد ذنون، موسى بن نصير، نوابغ الفكر العربي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م، ص٥١.

[٥٤] ابن عذارى، المصدر السابق ،ج١ ،ص٤٠، ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص٣٣.

[٥٥] الإمامة والسياسة، ج٢، ص٥٢، ابن عذارى، المصدر السابق ،ج١،ص٤٠.

[٥٦] ابن قتيبة، المصدر السابق،ج٢، ص٥٢، بينما ورد اسمه عند ابن الأثير عبد الله بن موسى، الكامل في التاريخ،ج٤، ص٢١ .

[٥٧] ابن الأثير،المصدر السابق،ج٤،ص٢١، ابن عذارى، المصدر السابق،ج١،ص٤٠.

[٥٨] يشير ابن الأثير إلى أن موسى بن نصير وجه ابنًا له يقال له هارون لا مروان، الكامل في التاريخ ،ج٤،ص٢١، ولم نسمع عن اسم هارون في أي مصدر آخر غير ابن الأثير، والأرجح أنه مروان لا هارون، فقد اجمعت المصادر التي تحدثت عن هذه المعركة بأن موسى وجه ابنه مروان إلى هؤلاء البربر الخارجين عن الطاعة.(ابن عذارى، البيان المغرب،ج٢، ص٢٣، المقري(ت١٠٤١هـ) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ،١٩٦٨م،

وقيل(هارون) أتى بمثلها–وأهل تلك المناطق جميعًا من المتمردين على المسلمين[٥٩] فكان الخمس يومئذ ستين ألف رأس من السبي، ولم يذكر أحد أنه سمع بسبي أعظم منه.[٦٠]

وكتب موسى إلى والي مصر عبد العزيز بن مروان يعلمه بالفتح، ويُخبره أن الخُمس من الغنائم بلغ ثلاثين ألفاً– وكان ذلك وهمًا من الكاتب؛ إذ كتب ثلاثين ألفاً بدلاً من ستين ألفاً– فلما قرأ عبد العزيز بن مروان الكتاب، وأن الخُمس من السبى ثلاثون ألفاً، استكثر ذلك، وكتب إلى موسى يقول له: " إنه بلغني كتابك، تذكر أن خمس ما أفاء الله عليك ثلاثون ألف رأس، فاستكثرت ذلك، وظننته وهمًا من الكاتب، فاكتب بالحقيقة"، فكتب موسى: " قد كان ذلك وهمًا من الكاتب على ما ظنه الأمير، والخمس أيها الأمير ستون ألف رأس ثابتاً بلا وهم"، فلما بلغه الكتاب، عجب كل العجب، وامتلأ سروراً، وكان الخليفة عبد الملك بن مروان كتب إلى أخيه عبد العزيز:"قد بلغ أمير المؤمنين ما كان من رأيك في عزل حسان وتولية موسى، وقد أمضى لك أمير المؤمنين ما كان من رأيك وولاية من وليت"، فكتب عبد العزيز إلى أخيه يعلمه بالفتح وبكتاب موسى.[٦١]

ومن الواضح، أن هناك مبالغة شديدة في عدد الأسرى في هذه الرواية[٦٢]؛ فابن الأثير يذكر أن تعداد سبي عبد الرحمن بن موسى، بلغ ألف رأس[٦٣] فقط، وهذا يبدو منطقيًا، وإذا افترضنا أن سبي مروان كان ألف رأس أيضًا، وسبي موسى في زغوان مثل هذا العدد، يكون مجموع السبي ثلاثة آلاف رأس، والخمس من هذا السبي ستمائة رأس، لا ستين ألفاً، والأرجح أن الكاتب أخطأ في عدد الأصفار .

ج١، ص٢٣٩، الوزير السراج، الحلل السندسية،ص٣٠٧).

[٥٩] ابن الأثير،المصدر السابق ،ج٤،ص٢١،ابن عذارى، المصدر السابق،ج٢، ص٢٣، المقري،المصدر السابق ،ج١، ص٢٣٩، سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج١، ص٢٤١.

[٦٠] ابن قتيبة، المصدر السابق،ج٢، ص٥٢، ابن الأثير، المصدر السابق ،ج٤،ص٢٥٢، عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص١٦٧–١٦٨.

[٦١] ابن قتيبة ، نفسه،ج٢،ص٥٢، ابن عذارى، المصدر السابق ،ج١،ص٤٠.

[٦٢] يشير ابن خلدون في مقدمته إلى أن كثيرًا ما وقع للمؤرخين والمفسيرين من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً، ولم يعرضوها على أصولها، فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط، ولاسيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات.(مقدمة ابن خلدون، ط١، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب ، دمشق، ٢٠٠٤م، ج١، ص٩٢

[٦٣] ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج٤، ص٢١، سعد زغلول ، المرجع السابق،ج١، ص٢٤١.

- **زغوان في عصر الأغالبة(١٨٤هـ-٨٠٠م/ ٢٩٦هـ-٩٠٨م) :**

وفي عهد زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب (٢٠١-٢٢٣هـ/٨١٧-٨٣٧م)،تذكر الروايات أنه في سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م، ونتيجة لسوء سيرته في الجند، نشبت ضده ثورة تزعمها أحد قوادهم، ويدعى زياد بن سهل المعروف بابن الصقلبية[٦٤]،خرج في الموضع المعروف بفحص أبي صالح بزغوان[٦٥]، لكن تلك الثورة انتهت سريعًا على يد سفيان بن سوادة قائد زيادة الله،الذي فك حصار باجة[٦٦]،وقتل كثيرًا من أصحاب الثائر ابن الصقلية الذين خالفوا معه، وغنم أموالهم.[٦٧]

أما عن أسباب ثورة ابن الصقلبية،فترجعها بعض المصادر إلى سوء سيرة زيادة الله في الجند، وإهانته لهم؛ بسبب عدم انتظامهم ووثوبهم على الأمراء قبله، تنص رواية ابن عذاري على أن عنفه مع الجند وإغلاظه لهم القول، وسفكه لدمائهم-خاصة عندما كان يسكر- كانت السبب في قيام العامة بالثورة في السنة نفسها (٢٠٧هـ/٨٢٢م).[٦٨]

---

[٦٤] مما يدل أنه كان من طبقة المولدين بإفريقية، الأمهات من نصارى صقلية والأباء من مسلمي البربر أو العرب. ويسميه ابن عذاري (ابن الصقلبية) أي أن أمه من رقيق الصقالبة الذين يجلبون من البلغار المستقرون حول نهر الفولجا. إذ كان العبيد من الصقالبة هم أفضل أنواع الرقيق الأبيض، جمالاً وطاعة وتهذيباً.(البيان المغرب، ج١، ٩٦-٩٧، ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٥٢، مصطفى أبو ضيف أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية، ط١، دار النشر المغربية، ١٩٨٦م،ج١، ص٣٨١).

[٦٥] فحص أبي صالح هو سهل الفحص الواقع بين تونس وزغوان وسمي كذلك تخليدًا لذكرى أحد قادة حسان بن النعمان الذي قيل إنه توقف به أثناء القيام بحملته على زغوان.(المالكي، رياض النفوس، ج١، ص٥٦-٥٧،ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص٥٥-٥٦، محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، ص١٩٠، أنظر :نفس البحث، ص١٠-١١).

[٦٦]باجة تتميز بحصانتها، عليها سور حجارة قديم، وسكانها من العرب والعجم قوم من جند بني هاشم القدم، وقوم من العجم، أما البربر فقد كانوا مجاورين للمدينة، وهم من وزداجة ولا طاعة لبني الأغلب عليهم، ويضيف البكري أن باجة كانت تسمى هرى إفريقية لربع زرعها وكثرة رقاعها وأنها خصبة، لينة الأسعار ، امحلت البلاد أو خصبت، ويردها كل يوم من الدواب والإبل العدد العظيم الألف والأكثر لانتقال الميرة، فلا يؤثر ذلك في سعرها لكثرة طعامهم.(اليعقوبي، كتاب البلدان،ص١٨٨،البكري، المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص٥٦).

[٦٧] ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج٥، ص٤٨٥، ابن عذاري، البيان المغرب، ج١،ص٩٦-٩٧، سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي، ج٢، ص٤٤-٤٥، محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، ص١٨٨-١٩٠.

[٦٨] البيان المعرب، ج١، ص٩٦، سعد زغلول، المرجع السابق، ج٢، ص٤٥.

كما نشبت ثورات عدة في نواحي مدينة زغوان، منها ثورة منصور بن نصر الطُنبذي[٦٩] الذي شق عصا الطاعة أيضًا على زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب في سنة ٢٠٩هـ/٨٢٤م عندما وصلته أنباء الفاجعة التي حلت بمقتل عمرو بن معاوية القيسي وابنيه حباب وسجمان، فتأثر لأبناء عصبيته، ودعا بني تميم في طرابلس إلى الوقوف إلى جانبه للأخذ بثأر بني عمومتهم القيسية.[٧٠]

وهكذا خرجت كثير من مدن إفريقية على زيادة الله، واستبد بها القواد الذين دخلوا في طاعة الطنبذي، مثل باجة والجزيرة (جزيرة شريك)، وصطفورة[٧١] وبنزرت والأربس، وغيرها مما يمكن أن يشبه بحكم ملوك الطوائف[٧٢] ومن المرجح أن زغوان شاركت في ثورة الطنبذي، ووقفت بجانب هذا الثائر.تؤكد المصادر ذلك، وأن تلك الحال استمرت على هذا المنوال طوال أربعين يومًا، لم يبق في يد زياد الله فيها من إفريقية كلها إلا الساحل، ومدينة قابس، ونفزاوة، وطرابلس التي تمسكت بطاعته.[٧٣]

وفي عام ٢١٨هـ /٨٣٣م اندلعت الاضطرابات بشمال إفريقية، ففي جزيرة شريك المحاذية لزغوان ثار فضل بن أبي العنبر أحد قواد الأمير الأغلبي ووالي الجزيرة.[٧٤] وما ان أعلن فضل الثورة وتمكن من هزيمة فرسان الأمير الأغلبي الذين أتوا لإخضاعه، وفرض سيطرته على المنطقة وأعلن الاستقلال بها، حتى أعلن القائد عبد السلام بن المفرج الربعي العدناني، والي باجة للأغالبة تأييده لثائر جزيرة شريك وانضم بانصاره إلى

---

[٦٩] منصور بن نصر الطُنبذي وهو من نسل دريد بن الصمة من قبيلة هوازن، ولقب بالطنبذي نسبة إلى قصره في منطقة طنبذة بقرية المحمدية التي تقع بالقرب من مدينة زغوان.(البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٢١٢، ابن الأبار (ت٦٥٨هـ) الحلة السيراء، ط٢، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م، ج٢، ص٣٨٢).

[٧٠] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٣٨٢، سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي، ج٢، ص٤٦-٤٧.

[٧١] صطفورة وتكتب أيضًا بالسين سطفورة، وهو إقليم بإفريقية جليل المكانة، فيه قرى وقواعد كثيرة ، ومن أشهر مدنه مدينة بنزرت وتينجة.(الحميري، الروض المعطار، ص٣١٨، ٣٥٨).

[٧٢] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٤٨٧-٤٨٨، ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٥٢، سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج٢، ص٥٠.

[٧٣]ابن الأثير، المصدر السابق، ج٥، ص٤٨٨، ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ١٠٠-١٠١، ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٥٣.

[٧٤] المالكي، رياض النفوس،ج١، ص٣٣٥، ابن الأثير، المصدر السابق، ج٦، ص٤٦٠، ابن عذاري، البيان المغرب،ج١، ص١٠٥، ابن خلدون، العبر،ج٤، ص٢٥٣.

الفضل ولكن الأمير الأغلبي أرسل جيشاً بقيادة أبي فهر محمد بن عبد الله بن الأغلب، ابن عمه، قضى على الثورة وقتل القائد عبد السلام بينما استطاع الفضل وعسكره الفرار إلى تونس.[٧٥]

وعندما بدأ توغل الفاطميين الشيعة في بلاد المغرب مستغلين الضعف الذي دب في جسم الدولة الأغلبية خلال عهد الأمير زيادة الله الثالث(908-296/902-290)[٧٦]،بدأ الداعية أبو عبد الله الشيعي قائد جيش الفاطميين مهاجمة المدن، واسقاطها الواحدة تلو الأخرى[٧٧] إما بالصلح مع أهلها، وإما بالقتال.وبدأ التهديد الحقيقي للأغالبة بسقوط مدينة باغاية[٧٨]ومدن أخرى مثل:مسكيانة[٧٩]ومجانة[٨٠]وتيفاش[٨١]وسطيف[٨٢]،وقسطيلة[٨٣]وقفصة، مما دفع الأمير زيادة الله الثالث الأغلبي

---

[٧٥] ابن الأثير، المصدر السابق، ج٦، ص٤٦٠، ابن عذاري، المصدر السابق، ج١، ص١٠٥، ابن خلدون، العبر،ج٤، ص٢٥٣.

[٧٦] هو زيادة الله بن أبي العباس بن عبد الله بن الأغلب، أبو مُضر، آخر ملوك بني الأغلب، ولي الحكم بعد قتل أبيه في سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م، ووقف في وجوه الثوار حتى تغلب عليهم ، واقتص من قتلة والده خوفاً من أن يقال إنه متواطىء معهم.وكان مسرفاً في اللهو والانغماس في الشهوات والملذات، وفي أيامه ظهر الداعي أبو عبد الله الشيعي، وقد وقعت حروب بين الداعي وزيادة الله، كان أشدها واقعة الأربس وكانت الهزيمة فيها على زيادة الله، وقتل أكثر جنده، وهرب إلى مصر سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م، وترك إفريقية، توفي في الرملة عام ٢٩٦هـ/٩٠٨م.(ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٧٥-١٧٦، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٥٧٤-٥٧٧، ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص١٣٥-١٤٠).

[٧٧] القاضي النعمان(كان حيًّاعام ٣٤٦هـ) افتتاح الدعوة، ط٢، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٨٦م، ص٢٠٣-٢٣٢.

[٧٨] باغاية : مدينة كبيرة في أقصى إفريقية بقرب مسكيانة وتقع أيضًا بين مجانة وقسنطينة. (ياقوت الحموي، معجم البلدان ،ج١، ص٣٢٥، الحميري، الروض المعطار، ص٧٦).

[٧٩] مسكيانة: قرية بالقرب من مجانة المطاحن عند نهر ملاق وبقرب باغية، وبينها وبين مجانة مرحلة وهي مدينة قديمة أزلية بها زروع ومكاسب وهي أكبر من مرماجنة.(الحميري، الروض المعطار، ص٥٥٨)

[٨٠] مجانة: بلد بإفريقية، فتحها بسر بن ارطاة ؛ ولهذا تسمى قلعة بسر، وبها زعفران كثير ومعادن حديد وفضة. بينها وبين القيروان خمس مراحل.(ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٥٦).

[٨١] تيفاش: مدينة أزلية بإفريقية، شامخة البناء، بينها وبين الأربس مرحلة، وهي ذات عيون ومزارع كثيرة وهي في سفح جبل.(ياقوت، المصدر السابق، ج٢،ص٦٦-٦٧، الحميري، المصدر السابق، ص١٤٦).

[٨٢] سطيف: مدينة في جبال كتامة، بالمغرب الأوسط، وهي صغيرة إلا أنها ذات مزارع وعشب عظيم. (ياقوت، المصدر السابق،ج٣، ص٢٢٠).

[٨٣] قسطيلة: اسم لعمل من بلاد الجريد، وهي بلاد واسعة ومدن عدة، بها النخل والزيتون، ومنها توزر و الحمة وتقيوس.ومدينتها العظمى توزر.(الحميري، المصدر السابق، ص٤٨٠).

إلى النهوض لصد الزحف الفاطمي تجاه قاعدة الحكم في القيروان.ويتضح من بعض المصادر التاريخية أن زيادة الله الثالث حصن مدن إقليم زغوان وقراه، وأنه اتخذ من مدينة الأربس الواقعة غرب جبل زغوان مركزًا لتجمع قواته، فأصبحت مدينة عسكرية، وكان واليها إبراهيم بن أحمد بن عقال بن الأغلب، وكان موقف أهل الأربس هو المقاومة للزحف الفاطمي؛ إذأضرموا نارًا وتعاهدوا مع ابن الأغلب على عدم تسليم المدينة.وفرض أبو عبد الله الشيعي حصارًا شديدًا عليها وتمكن في النهاية من دخول المدينة عنوة، وقتل بها من الخلق عددًا كثيرًا، قدره بعض المؤرخين بثلاثين ألف رجل فضلاً عن نهب المدينة. [٨٤]

- **زغوان ما بين إمرة الزيريين وغزوة الهلاليين:**

اتفق كثير من المؤرخين العرب على أن العامل المباشر الذي أدى إلى هجرة بني سليم وبني هلال[٨٥] من صحراء الصعيد االشرقية في مصر إلى شمال إفريقية غربا – هوسخط الدولة الفاطمية على المعز بن باديس[٨٦] _زعيم بربر بني زيري الصنهاجيين_الذي قطع الخطبة والدعاء للفاطميين، وحولها للعباسيين، وأعلن ولاءه لهم، مستغلاً انتقال المعز لدين الله الفاطمي إلى القاهرة وبعده عن المغرب.وكانت الدولة الفاطمية تهدف من وراء تشجيع تلك الهجرة إلى غرضين: التخلص من بني هلال وسليم، وإبعادهم عن

---

[٨٤] ابن عذاري، البيان المعرب، ج١، ص١٤٦-١٤٧، النويري(ت٧٣٣هـ)نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق نجيب مصطفى فوار، حكمت كشلي فوار، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٥م، ج٢٨، ص٥٧-٥٨ ، ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٦٢-٢٦٤.

[٨٥] بنو سليم وبنو هلال من قيس عيلان، ويجمعان في منصور ابن عكرمة بن خصفه بن قيس عيلان بن مضر، يقيمون في المنطقة الممتدة بين الطائف ومكة، وبين المدينة ونجد، شاركوا في الفتوحات الإسلامية، إلا إنهم احتفظوا بثقلهم وطابعهم البدوي في الجزيرة العربية حتى تاريخ هجرتهم ٤٤٠هـ/١٠٤٨م، واستقرت في شمال افريقيا، وشاركت في الحروب والفتوحات التي قامت في المنطقة، وفي حوض المتوسط، وكان لها الأثر في تعريب شمال افريقيا.(الهمداني(ت٣٣٤هـ) صفة جزيرة العرب، ط١، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الارشاد، صنعاء، ١٩٩٠م،ص٢٣٣، ٢٤٥، القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب "تحقيق ابراهيم الأبياري،طبع القاهرة ،١٩٥٨م، ص٣١٦).

[٨٦] هو المعز بن باديس بن منصور الصنهاجي (٣٩٨هـ-١٠٠٨م / ٤٥٤هـ-١٠٦٢م) من ملوك الدولة الصنهاجية بإفريقية، ولد بالمنصورية(من أعمال إفريقية) وولي بعد وفاة أبيه سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م، وأقره الحاكم الفاطمي – صاحب مصر والمغرب- ولقبه بشرف الدولة وساد الأمن في أيامه، وأول من حمل الناس بإفريقية على مذهب الإمام مالك، وكان الأغلب عليهم مذهب أبي حنيفة. نشبت بينه وبين قبائل زناته حروب انتصر فيها جميعها. وكانت خطبته للفاطميين فقطعها سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م وجعلها للعباسيين، فوجه المستنصر الفاطمي أعراب بني هلال وبني سليم وأباح لهم الغارة على المغرب فاحتلوا القيروان وحاربوا المعز فتغلبوا عليه، فتقهقر إلى المهدية. (ابن الأبار ، الحلة السيراء، ج٢، ص٢١-٢٢، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧، ص٦٠٣-٦٠٥، ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٢٦٧-٢٧٧).

صعيد مصر الذي عاثوا فيه فسادًا، واستخدامهم أداة لإنهاك الدولة الصنهاجية، وجعلهم شوكة في خاصرتها، وضربها بهم.[٨٧]

ولما تغلب العرب على مدينة القيروان وتحول المعز بن باديس إلى المهدية، اضطرمت إفريقية ناراً واقتسم العرب بلاد إفريقية وامتنع الكثير منهم على ملوك آل باديس، فأستقرت زغبة ورياح في برقة وطرابلس، كما استقر بنو هلال وسليم في منطقة تونس وما يليها غرباً، فكان لقبيلة سليم الشرق ولهلال الغرب، وانحصر سلطان الدولة الزيرية المحدود جداً في المنطقة الساحلية المحيطة بعاصمتهم المهدية[٨٨]،وقامت عدة دويلات محلية في المنطقة، مثل بني خرسان[٨٩] البرابرة بتونس، وابن الرند[٩٠] بقفصة، وابن الورد[٩١]ببنزرت، وابن جامع[٩٢]بقابس. وقد احصى المؤرخ ابن خلدون عددًا كبيرًا آخر من الرؤساء الذين أقاموا إمارات عابرة، في باجة، وطبرقة، والأربس، وزغوان، وغيرها من المدن الداخلية.[٩٣]

---

[٨٧] ابن خلدون، العبر،ج٦،ص١٨-٢٠، المقريزي(ت٨٤٥هـ)،اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد ، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ١٩٩٦م،ج٢، ص٢١٥-٢١٧، سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي، ج٣، ص٤٢٠-٤٢٢.

[٨٨] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١١، ص٥٦-٥٨، أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت،١٩٧١م ص٣٢٦.

[٨٩] بني خرسان وهم من قبائل صنهاجة، وتولى أمرهم عبد الحق بن عبد العزيز بن خرسان، وأحسن السيرة فيهم إلى ان زحف إليه الأمير تميم بن المعز من المهدية في سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م وحاصره بتونس لمدة أربعة أشهر إلى أن صالحة ابن خرسان، واستقام على طاعته، ولم يزل على ولاية تونس حتى توفي سنة ٤٨٨هـ، وتولى من بعده إبنه أحمد بن عبد العزيز بن عبد الحق.(ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢١٧).

[٩٠] ابن الرند هو عبد الله بن محمد بن الرند، عامل صنهاجة بمدينة قفصة، أصله من جرية من بني صدغيان، تولى أمر قفصة وصالح العرب على الأتاوة واستفحل أمره وعظم سلطانه بها بعد ان ارتحل المعز من القيروان إلى المهدية، وكان معظماً لأهل الدين إلى أن توفي سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م، وولي من بعده إبنه المعتز.(ابن خلدون ، المصدر السابق، ج٦، ص٢٢٠).

[٩١] بني الورد هم من قبيلة لخم، تمكنوا من اقامة امارة عربية بمدينة بنزرت تمتعت بحماية جيرانهم من عرب بني مقدم من الاثبج ودهمان من رياح في مقابل اتاوة اتفق على قيمتها، ونجح امراؤها في تنمية موارد المدينة وتشييد العمران بها حتى قصدهم الشعراء لمدحهم.(ابن خلدون ، المصدر السابق، ج٦، ص٢٢٥).

[٩٢] بني جامع هم من القبائل الهلالية من بني علي إحدى بطون رياح، تولى على قابس بكر بن كامل بن جامع أمير دهمان، واستبد بقابس إلى أن لحق به مثنى بن تميم بن المعز .(ابن خلدون، المصدر السابق، ج٦، ص٢٢١).

[٩٣] ابن خلدون، المصدر السابق،ج٦، ص٣١٨، روبار برنشفيك، تاريخ إفريقيةفي العهد الحفصي، ج١، ص٣٢.

وانتهز مدافع بن علال –وهو شيخ من شيوخ عرب قيس البلديين– اضطراب الأحوال في إفريقية بسبب دخول العرب الهلالية، فامتنع بطبرقة، وحصن قلعتها، واستبد بحكمها، في جملة من ولده وبني عمه وجماعته، إلى أن ثار عليه ابن بيزون اللخمي في موضع يسمى البحرين على وادي مجردة[٩٤] قبالة الرياحين، ودامت الحرب بينهما مدة طويلة. [٩٥]

كذلك استطاع قهرون بن غنوش التغلب على مدينة تونس – ربما قبل ظهور بني خرسان– غير أنه أساء السيرة، فصرفه أهلها عن ولايتها، فنزلها دحمون، وشيد بها قلعة، وجمع إليه جيشًا من أوباش القبائل، وأخذ يناوش ضواحي تونس، مما حدا بأهلها إلى الاستغاثة بمحرز بن زياد فساعدهم على التصدي له.[٩٦]

كما استقر حماد بن خليفة اللخمي بمنزل رقطون من أعمال إقليم زغوان، وقام بعمليات نهب وغارة، واقتفى ولده أثره إلى أن فتح الموحدون إفريقية. وفي قلعة شقبنارية[٩٧] تمكن عماد بن نصر الكلاعي– بفضل من انضم إليه من المتمردين وأوباش القبائل– من الدفاع عنها ضد الأعراب.وطلب منه ابن فتاتة شيخ الأربس تخليصه من العرب، فزحف إليهم، وأجلاهم عن المدينة ثم فرض على أهلها إتاوة ظل يتقاضاها منهم حتى وافته المنية فخلفه ابنه وسار على نهجه إلى أن دخل في طاعة الموحدين سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م.[٩٨]

- **زغوان زمن الموحدين(٥٤١هـ–١١٤٧م/٦٦٨هـ–١٢٦٩م):**

دخل الموحدون مراكش ٥٤١هـ/١١٤٧م عندما سقطت دولة المرابطين ،فأصبح عبد المؤمن بن علي الموحدي[٩٩] مسيطراً على بلاد المغرب،وشرع يوطد دعائم دولته الجديدة في بلاد المغرب والأندلس، وبعد ان

---

[٩٤] مجردة : نهر يقع بالقرب من تونس، على نحو عشرة أميال منها، على الطريق إلى المغرب، وقيل في شأنه:"من شرب من مائه قسا قلبه". (المراكشي، الاستبصار، ص١٢١).

[٩٥] ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٢٦–٢٢٧، مصطفى أبو ضيف، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، دار النشر المغربية، الدار البيضاء،١٩٨٢م،ج٢، ص٦٠.

[٩٦] ابن خلدون، المصدر السابق، ج٦، ص٢٢٦–٢٢٧، نجوان أبو بكر محمد، تاريخ إفريقية السياسي والحضاري،ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة ،٢٠١٣م،ص٩٩–١٠٠.

[٩٧] شَقبنارية: مدينة كبيرة من مدن قسنطينة، تقع على طرف جبل أوراس، وهي من أعظم مدن إفريقية، بها ماء مجلوب ، وفيها عيون عذبة.(المراكشي، الاستبصار، ص١٦٤–١٦٥).

[٩٨] ابن خلدون ، المصدر السابق، ج٦، ص٢٢٧.

[٩٩] هو عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلي الكرمي، المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين، ولد سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م بقرية صغيرة تسمى (تاجرا) من أعمال تلمسان، رحل إلى بلاد المشرق للحج، وأثناء عودته إلتقى بالمهدي بن تومرت ، ولما مات هذا

تمكن الخليفة عبد المؤمن من إخضاع بلاد المغرب الأوسط ،وتغلب على بجاية وقسنطينة، وعاد إلى مراكش، أرسل إليه أهالي إفريقية يستنجدون به ويشكون مما نزل بهم من العرب، فبعث إليها ابنه عبد الله بن عبد المؤمن في جيش كبير من المصامدة والعرب،فنزل على مدينة تونس سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م، وحاصرها، وأخذ في قطع أشجارها وتغوير مياها. وكان قد استقل بها عبد الله بن خرسان، فخرج أهل تونس لمحاربة الموحدين وتمكنوا من الانتصار عليهم(١٠٠) فكتب عبد الله إلى أبيه بذلك، فخرج الخليفة عبد المؤمن الموحدي من مراكش في جيوش لا تحصى سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م، ففتح تونس عنوة ثم واصل زحفه إلى المهدية وضرب عليها الحصار، ودخلها صلحًا سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م.وكان عبد المؤمن في أثناء حصاره للمهدية قد بعث ابنه عبد الله لمحاصرة قابس، فاستولى عليها من بني كامل من رياح المتغلبين عليها، كما استولى على قفصة من بني الورد، وعلى طبرقة من مدالع بني علال، وجبل زغوان من بني حماد بن خليفة، وشقنبارية من بني عماد بن نصر الكلاعي، والأربس من يد من ملكها من العرب(بني فتاتة) (١٠١) وافتتح جميع بلاد إفريقية وأدخل في طاعته اهالي المنطقة الممتدة من برقة حتى تلمسان.(١٠٢)

المبحث الثالث: زغوان مركزًا للزهد والتصوف :

كانت زغوان ثغرًا من الثغور الإفريقية المهمة، ومنزلاً للعلماء والفقهاء والزهاد الذين يميلون إلى العزلة عن مراكز النفوذ، وموقعًا يرابط فيه المجاهدون حيث أصبح هؤلاء المرابطون يمثلون السلوك المستقيم في التدين والتقوى وحب الجهاد في سبيل الله.وكانوا يحظون بالتقدير–وحتى التقديس– من سكان إفريقية الذين كانوا

الأخير بويع عبد المؤمن بن علي خليفة للدولة الموحدية، فبدأ نشاطه بالقضاء على الدولة المرابطية، وحقق انتصارات كبيرة وأنشأ دولة الموحدين، توفي عام ٥٥٨هـ/١١٦٣م.(المراكشي(ت٦٤٧هـ) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط١، تحقيق محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة ، القاهرة، ١٩٤٩م، ص٢٠٤–٢٠٧، ص١٩٦–١٩٧، ابن خلكان وفيات الأعيان ، ج٣، ص٢٣٧).

(١٠٠) المراكشي، المعجب، ص٢٠٤–٢٠٧، ص٢٢٨، ابن أبي زرع(ت٧٤١هـ) الأنيس المطرب بروض القرطاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م، ص١٩٨، مصطفى أبو ضيف أحمد، أثر القبائل العربية ، ج٢، ص٧٠–٧١.

(١٠١) ابن خلدون ، العبر، ج٦، ص٢٢٦–٢٢٧، ص٣١٨.

(١٠٢) ابن أبي زرع، الانيس المطرب بروض القرطاس، ص١٣٩، الزركشي(ت٧٩٤هـ) تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ط٢، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٦٦م، ص١٢ .

متشبعين بالتدين العميق والتمسك بمبادئ الإسلام[١٠٣] حتى أحيط جبل زغوان بهالة من التقديس، وصار مدرسة يتخرج فيها أصحاب الطرق وشيوخ الزوايا من المتصوفة.

وعرف التصوف انطلاقته في العصر الموحدي، بعد أن أفرج عن كتب الغزالي التي حظرتها السلطة المرابطية، وتتبعتها بالحرق[١٠٤]، فأعاد الموحدون الاعتبار لها، خاصة كتاب الإحياء، كما شجعوا التصوف مما حرر رجاله، ودفعهم نحو النشاط[١٠٥] وربما كان انتشار الطرق الصوفية رد فعل قوي ضد التغييرات التي عرفها المجتمع المغربي بالانتقال من عيش بسيط بدوي يغلب عليه الزهد في عهد عبد الله بن ياسين[١٠٦](ت٤٥١هـ/١٠٥٩م) إلى حياة الدعة والمجون في عهد أمير المسلمين علي بن يوسف

---

[١٠٣] البكري، المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص٤٦، الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٢٩٤، القزويني، عجايب المخلوقات، ص١٤٦.

[١٠٤] أقبل المرابطون على مذهب الإمام مالك، ونبذوا بصرامة علم الكلام لاسيما فترة حكم علي بن يوسف (٤٧٦-٥٣٧ هـ/١٠٨٣-١١٤٣ م) الذي قام بالتشديد في نبذ الخوض في شيء من علم الكلام، وتوعد من وُجِد عنده شيء من كتب الغزالي، كما صدرت أوامر أمير المسلمين علي بن يوسف بحرق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي في مدن المغرب والأندلس كافة، وفي رواية المراكشي أن الأمر كان بإحراق كتب الغزالي كلها ، فأحرق في أفنية المساجد الكبيرة، في قرطبة ومراكش، وغيرهما من حواضر المغرب والأندلس، على هيئته بجلوده بعد اشباعه زيتا، وحضر لذلك جماعة من أعيان الناس.(المراكش، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص١٧٣، ابن القطان(المتوفي منصف القرن السابع الهجري)نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان،ط٢، محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م، ص٧٠-٧١،السلاوي الناصري(١٣١٥هـ) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولتان المرابطية والموحدية)،تحقيق جعفر الناصري ومحمدالناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م، ج٢، ص ٧٥).

[١٠٥] المراكش، المصدر السابق، ص١٧٣، ابن القطان، المصدر السابق، ص٧٠-٧١،حسين مؤنس، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الثالث، ١٩٥٥م، ص١٠٧-١١٣، محمد المنوني، إحياء علوم الدين في منظور الغرب الإسلامي أيام المرابطين والموحدين، ندوة أبو حامد الغزالي، دراسات في فكره وعصره وتأثيره، مطبعة المحمدية، المغرب، ١٩٨٨م، ص١٣٣.

[١٠٦] عبد الله بن ياسين بن مكول بن على صاحب دعوة المرابطين، ذكر بعض المؤرخين أنه ينتسب إلى قبيلة جزولة الضاربة في أقصى المغرب قرب جبال درن، ولد في قرية تياماناوت في طرف صحراء مدينة غانة، أي في أحواز مدينة أودغشت .(البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب،ص١٦٥، القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك ،ط١، تحقيق سعيد أحمد أعراب، مطبعة فضالة لمحمدية، المغرب،١٩٨١-١٩٨٣م ،ج٤ ،ص١٨٠، حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطي ، دار الفكر العربي،القاهرة، دت، ص١١٤).

المرابطي(٥٠٠-٥٣٧هـ/١١٠٦-١١٤٢م) أدى إلى تفاقم المشكلات وظهور الأزمات، وانتشار مظاهر لم يستسغها القوم فآثروا الزهد والاعتكاف والبعد عنها [١٠٧]

- **أبو بكرالحذاء الزاهد المتعبد(ت٤٠٠هـ/١٠٠٩م)**

ظهر التصوف بشكل جلى عبر أعلامه الذين ذاع صيتهم وكان أثرهم في الناس والمجتمع وفي الحكام.وكثيرًا ما كانوا من الجامعين بين الزهد والرباط وبين العلم ونفع الناس. ونظرًا لمناعة موقع جبل زغوان، اختير ملجأ للعُبّاد والزّهاد ومنفى للمظلومين ومن أقدم من اتبع الطرق الصوفية في إقليم زغوان أبو بكرالحذاء الزاهد، فتذكر المصادر أن أبا بكر الحذاء الزاهد المتعبد كان ذا حج وأسفار وتغرب عن الأوطان، ومن أهل الجد والاجتهاد، والانزواء، وإذا نظرت إليه ذكرك بالله.قد غارت عيناه ونحل جسمه، وجف جلده على عظمه، وأنه كان ملازمًا للصيام والقيام، يحذو النعال في داره، ويحج في كل سنة حجة، رحل المشرق فصحب أبا الحسن العزا بمصر مدة خمس عشرة سنة ثم رجع إلى إفريقية، فسكن زغوان وكان يأتي إلى القيروان مستترا لزيارة بنات له كن متزوجات بأولاد أخيه.وكان استتاره خوفًا من أن يراه الناس. ولم يزل بزغوان متعبدًا إلى أن مات بها سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م.[١٠٨]

- **أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي الزغواني(ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م)**

ومن كثرة من انقطعوا للعبادة في جبل زغوان، نُسب بعض مشايخ الصوفية إليه، منهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي الزغواني[١٠٩] الذي صحب جماعة من المشايخ أمثال عبد العزيز بن المهدوي وغيره من أصحاب الشيخ مدين، وقدم إلى مصر في سنة ٥٩٨هـ/١٢٠١م وكان عمره ثلاثين سنة، وتوفي سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م وكان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، غير أنه اشتهر بالورع والزهد والتقلل من الدنيا.

---

[١٠٧] حسن جلاب، دولة المرابطين قضايا وظواهر، ط١، المطبعة والوراقة الوطنية، المملكة المغربية، ١٩٩٥م، ص٢٥٦.

[١٠٨] الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، ج٣، ص١٣٢-١٣٣

[١٠٩] المقريزي(٨٤٥هـ) المقفى الكبرى، تحقيق محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م، ج٥، ص٤٣٢-٤٣٣.

- **أبو الحسن الشاذلي(ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م)**[١١٠]

كما تحدثنا المصادر عن رمز من رموز التصوف في تلك الفترة، ممن أقاموا فترة في جبل زغوان، هو أبو الحسن الشاذلي الذي نشأ في المغرب الأقصى وحصل فيه علومه الأولى، ثم اشتاقت نفسه منذ مطلع شبابه إلى التصوف.ويمتد جذور المشروع الصوفي لأبي الحسن الشاذلي إلى المدرسة البغدادية في التصوف التي أرسى دعائمها أبو القاسم الجنيد البغدادي[١١١](ت٢٩٧هـ) وعديد من كبار شيوخ التصوف، فأخذ عنهم معارفهم وطريقة سلوكهم في التصوف[١١٢] ثم انتقل إلى تونس وهناك بدأ يظهر تصوفه في إفريقية قبيل تولي أبي زكريا الحفصي الحكم.

أما رحلة أبي الحسن الشاذلي إلى جبل زغوان فقد حققت له هدفين : الأول هو تفريغه للعبادة والبعد عن الفتنة، أما الثاني فهو منع اللاهين المتطفلين من الجلوس إلى مائدة الشيخ الروحية؛ ذلك أنه سوف لا يذهب إلى جبل زغوان لرؤية الشيخ إلا محب للمعرفة جاد في طلبها[١١٣] واتخذ أبو الحسن رباطًا في جبل زغوان واخذ ينشر دعوته في بلده (شاذلة) القريبة من رباطه وكثر أتباعه وعظم نفوذه وكان الجبل عامرًا

---

[١١٠] هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم المغربي الشاذلي (نسبة إلى بلدة شاذلة التي كان مبدأ ظهوره بها) الضرير الزاهد نزيل الإسكندرية و رأس الطائفة الشاذلية. من سلالة الحسن بن علي بن أبي طالب، ولد سنة ٥٩٣هـ/١١٩٧م في قرية غمارة ببلاد الريف من المغرب الأقصى(قرب سبتة).خرج الشاذلي من بلاده غمارة في حدود عام ٦٢٠هـ/١٢٢٣م ودخل تونس وكان شيخه فيها الولي الصالح عبد السلام بن مشيش(ت٦٢٤هـ). توفي بصحراء عيذاب ٦٥٦هـ.(ابن الصباغ(كان حيًا ٧٣٣هـ) درة الأسرار وتحفة الأبرار، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٢٢-٢٣،الشعراني(ت٩٧٣هـ)الطبقات الكبرى(المسمى لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية، طبع بمصر،،د.ت، ج٢، ص٤، ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن، ط٣، تحقيق، عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٧٥).

[١١١] أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي البغدادي القواريري، هو شيخ الصوفية ، ولد سنة نيف وعشرين ومائتين، وكان فقيها تفقه على أبي ثور، وكان تلميذًا أيضًا لمعروف الكرخي، اشتهر بأنه سيد الطائفة وشيخ طريقة التصوف، اختلف الدارسون حول وفاته، فقيل : توفي الجنيد في سنة ٢٩٨هـ/١٢٠١م ، وقيل : سنة ٢٩٧هـ /١٢٠٠م.(الذهبي(ت٧٤٨هـ) سير أعلام النبلاء، ط١١، تحقيق شعيب الأرنؤوط، أكرم البوشيي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م، ج١٤، ص٦٦، السبكي(ت٧٧١هـ)،طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي، دار احياء الكتب العربية، دمشق، ١٩٦٩م،ج٢، ص٦٤، ٢٦٧).

[١١٢] ابن الصباغ، درة الأسرار وتحفة الأبرار، ص٢٤-٢٥، محمد الكحلاوي، الفكر الصوفي في إفريقية والغرب الإسلامي، ط١، دار الطليعة للطباعة، بيروت، ٢٠٠٩م، ص٨٤.

[١١٣]عبد الحليم محمود، المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها، دار النصر للطباعة، القاهرة، د.ت، ص٣١-٣٢.

بالبساتين والأنعام وكان أبو الحسن مثابرًا على النزول من الجبل إلى المدينة يوم الجمعة لحضور الجماعة في الجامع وهناك عرف وذاعت شهرته ونسب لشاذلة.[١١٤]

أما عن طبيعة حياة أبي الحسن الشاذلي في جبل زغوان، فكانت تتسم بالتقشف والزهد والتفرغ للعبادة والذكر [١١٥] وأنه أقام بجبل زغوان زمنًا طويلاً، وأنبع الله له عينًا تجري بماء عذب، وله هناك مغارة كان يسكنها، ويسمع الآن الأذان من تحت الجبل عند أوقات الصلوات فيصعد إليها فلا يوجد أحد يعمرها فما يعمرها غير أصحابه من الجن المؤمنين. [١١٦] ، وقد حظى أبو الحسن الشاذلي بقبول حسن من قبل أبي سعيد الباجي[١١٧] الذي كان في آخر أيام حياته[١١٨] وربما يكون قد حظى أيضًا باهتمام بعض رجال البلاط وتقديرهم

---

[١١٤] ابن الصباغ، درة الأسرار وتحفة الأبرار، ص ٢٤-٢٦، السيد البشير الفورتي، أبو الحسن الشاذلي، المجلة الزيتونية، مجلة علمية أدبية أخلاقية، تصدرها هيئة من مدرسي الجامع الزيتونة المعمور، مطبعة الإرادة التونسية ، العدد الثامن، لسنة ١٩٤٦م، م٦ ، ج١٠، ص٦٠٨-٦٠٩.

[١١٥] يروي لنا السيد محمد عبد الله بن سلامة الحبيبي- وكان أول من صحبه بشاذلة -عن سيده أبي الحسن ، أنه رأى منه أشياء كثيرة، أثناء تواجده معه بجبل زغوان أربعين يومًا حيث ظل يأكل أوراق الأعشاب حتى تقرحت أشداقه، كما روى في رواية أخرى أنه حين قدم الشيخ إلى شاذلة، اجتمع به وصحبه، ولازمه، وتوجه معه إلى جبل زغوان، وتعبد معه، وجاهد معه وقتًا طويلاً، ورأى منه كرامات كثيرة، منها انه قرأ يومًا على جبل زغوان سورة الأنعام فأصابه حال عظيم ، وجعل يكررها ويتحرك، فكلما مال إلى جهة مال الجبل نحوها حتى سكن الشيخ فسكن الجبل.(ابن الصباغ، درة الأسرار وتحفة الأبرار، ص ٢٥-٢٦، أبو الفضل عبد القادر الشاذلي(ت٨٩٤هـ) الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء يقظة بسيد الدنيا والآخرة، ط١، تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح، توفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠١٠م،ص٢٥٢-٢٥٣،التادلي(كان حيًا أواخر القرن العاشر الهجري) المعزى في مناقب سيدي أبي يعزى، تحقيق علي الجاوي، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط، ١٩٩٦م، ص٣٠٢).

[١١٦] درة الأسرار وتحفة الأخبار، ص٢٧، عبد القادر الشاذلي، الكواكب الزاهرة، ص٢٥٣،التادلي ، المصدر السابق، ص٣٠٢.

[١١٧] هو أبو سعيد خلف بن يحيى التميمي الباجي، نسبة إلى باجة من أحواز تونس (قرب منوبة)، وهو شيخ صوفي، ولد بباجة سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م، حج ومكث مجاورًا بمكة ثلاث سنوات، ثم رحل إلى بلاد الشام، ومنها رجع تونس عام ٦٠٦هـ/١٢٠٩م، أخذ عن أبي مدين الغوث، اشتهر بين الناس، وعرف بالصلاح والتقوى والتفرغ لعبادة الله، فاتصل به أبو الحسن الشاذلي، ولازم مجالسه وطريقه، توفي أبو سعيد عام ٦٢٨هـ/١٢٣١م ودفن بجبل المرسى بضاحية تونس، ومقامه معروف بجبل المنار.(التادلي، المعزى، ص٢٩٨-٢٩٩، ابن عيشون(ت١١٠٩هـ) الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين بأهل فاس،ط١، تحقيق زهراء النظام، منشورات كلية الآداب ، الرباط، ١٩٩٧م ،ص٨٢، السراج، الحلل السندسية، ص٣٥٨، محمد البهلي البيال، الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي، مكتبة النجاح ، تونس، ١٩٦٥م، ص٢٢٤-٢٢٦).

[١١٨] ابن عياد، المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، دار الكتبي، القاهرة، ١٩٣٧م، ص١١.

في عهد السلطان أبي زكريا الحفصي؛ إذ يقال- حسبما جاء في كتب مناقب أبي الحسن الشاذلي- أنهم حموه من مناهضة أحد العلماء، الذي وشى به عند السلطان باعتباره مشوشًا علويًا خطرًا، فتذكر المصادر أن أبا القاسم ابن البراء[١١٩] قاضي القضاة لما سمع بأبي الحسن الشاذلي- وكان في ذلك الوقت قاضي الجماعة- قال للسلطان أبي زكريا :إن ههنا رجلاً من أهل شاذلة سواق الحمير يدّعي الشرف، وقد اجتمع إليه خلق كثير، ويدعي أنه الفاطمي، ويشوش عليك في بلادك .فاجتمع السلطان أبو زكريا بابن البراء وجماعة من الفقهاء، وحضر أبو الحسن الشاذلي،وجلس السلطان خلف حجاب،وسألوه عن نسبه، وتحدثوا معه عن علومه التي اكتسبها. فقال السلطان لابن البراء: هذا رجل من أكابر الأولياء وما لكم به طاقة، فقال له: والله لئن يخرج في هذه الساعة ليدخلن عليك أهل تونس ويخرجوك من بين أظهرهم فإنهم مجتمعون على بابك[١٢٠] فوجد أبو الحسن نفسه مضطرًا إلى الرحيل، فتحول إلى مصر ومنها إلى الحجاز.[١٢١]

- **السيدة عائشة المنوبية(ت٦٦٥هـ/١٢٦٦م)[١٢٢]:**

---

[١١٩] هو أبو القاسم بن علي بن عبد العزيز بن البراء التنوخي، من أبناء المهدية، وبها ولد في سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م .وهو الإمام الهمام أحد علماء الإسلام، والحافظ المشارك في أنواع العلوم، انتهت اليه رياسة العلم والقرب من السلطان محمد المستنصر بالله. تولى قضاء الجماعة في سنة ٦٥٧هـ/١١٦١م .أخذ عن مشايخ بلده ثم رحل للمشرق سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م، فسمع بالحرمين الشريفين والقاهرة والإسكندرية من جماعة، منهم جعفر بن أبي الحسين الهمداني والحافظ أبو طاهر السلفي، وتوفي أبو القاسم سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م.(قاسم مخلوف(ت١٣٦٠هـ)شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،ط١، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م،ج١، ص٢٧٣، حسن حسني عبد الوهاب، العُمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، ط١، مراجعة محمد العروسي المطوى ، وبشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م، ج١، ص٣١٠-٣١٢).

[١٢٠] ابن عياد ، المصدر السابق ، ص١٩.

[١٢١] ابن الصباغ، درة الأسرار وتحفة الأبرار، ص٢٨،عبد القادر الشاذلي، الكواكب الزاهرة، ص٢٥٤، التادلي، المصدرالسابق، ص٣٠٣-٣٠٤، عبدالسلام الترمانيني، أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين، ط١، ريع الدار، دمشق،١٩٩٤م،ج٣م٢،ص٩٦١-٩٦٢، روبار برنشفيك، إفريقية في العهد الحفصي، ج٢، ص٣٣٨.

[١٢٢] عائشة المنوبية: من أعيان القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي اسمها عائشة بنت عمران بن الحاج سليمان المنوبي، وشهرتها المنوبية ،نسبة إلى قرية المنوبة التي نشأت بها على مسيرة خمسة أميال غربي تونس، وأمها فاطمة بنت عبد السميع، ومولدها في منوبة سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م، نشأت في حجر أبيها ،واعتنى بتربيتها، وعلمها القرآن الكريم حتى أحسنت حفظه، ثم ظهرت عليها علامات الزهد والصلاح. ولما بلغت سن الزواج وجدت أن الزواج يحول بينها وبين تحقيق رسالتها للصوفية فأبت أن تنصاع لرغبة والديها في تزويجها من ابن عمها، وهربت إلى تونس حيث لجأت إلى قيسارية (جنوب شرق تونس) وقيل: سكنت منزلاً خارج رياض السعود -في المكان المعروف باسم المركاض- وهناك قضت حياتها تنعم بشهرة عظيمة في الولاية وكان شأنها العبادة وغزل الصوف وهو مورد حياتها .وكانت تحسن إلى الفقراء والمساكين فما تحصل عليه من عمل يدها تصرفه

وينبغي أن نشير إشارة خاصة إلى واحدة من أصحاب أبي الحسن، هي المرأة الشهيرة السيدة عائشة المنوبية أو للا المنوبية[١٢٣] المتوفاة سنة 665هـ/ ١٢٦٦م، وهي أصيلة قرية منوبة الواقعة غربي مدينة تونس ،التي برزت موهبتها إثر بعض الرؤى، وكانت تبلغ من العمر اثنتي عشرة سنة، وعندما بلغت سن الكهولة تشبعت بتعاليم أبي الحسن الشاذلي وعاشت في مدينة تونس ماعدا بعض فترات الاعتكاف التي قضتها في جبل زغوان.[١٢٤]

المبحث الرابع: حنايا زغوان في العصر الاسلامي

- **قناطر المياه (الحنايا)بزغوان في العصر الروماني ودور المسلمين في ترميمها :**

تعد زغوان مصدرًا مهمًا لتزويد المنطقة المحيطة بها بالمياه، خاصة مدينة تونس ولأهمية المياه في هذا المكان أطلق على المعبد الروماني الذي فيه اسم معبد المياه[١٢٥]حيث كان الماء في العهد الروماني–كما

في سبيل الله.ثم توفيت في سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م ،في عهد السلطان المستنصر بن أبي زكريا الحفصي ودفنت في مقبرة نسبت إليها، فعرفت بمقبرة الشرف بروضة القرجاني خارج شرف المركاض،و قبرها بالقرب من أحد أبواب تونس: باب الفلاح...وهي مشهورة بكراماتها وقصائدها المدحية التي تتلى على قبرها وقد نشر سونيك إحدى تلك القصائد، وأخبر أن المنوبية مشهورة جدًا.(مناقب السيدة المنوبية، مخطوطة بدار الكتب الوطنية، تونس، ابن طوير(ت١٢٦٥هـ) رحلة المنى والمنة، تحقيق رحماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت،د.ت، ص٢١٣، دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة محمد ثابت فندي،وإبراهيم زكي خورشيد،وعبد الحميد يونس،وأحمد الشنتناوي، جامعة إنديانا، ١٩٣٣م، ص٤٣٦–٤٣٧، حسن حسني عبد الوهاب، شهيرات تونسيات، المطبعة التونسية، ١٣٥٣هـ، ص٧٧–٧٨، Sonneck, six chansons arabes en dialecte maghrebin in jour . asiat, IX. Serie tXII, mai–juin 1899, n 3 p.417 et t.14 juillet– aout 1898, n4, p.121

[١٢٣] مصطلح " لالة" او " لالاْ " لفظ تشريف للمرأة في بلاد المغرب، وهو لفظ بربري يعني" سيدة".(إدموند دوتي، الصلحاء، ترجمة محمد ناجي بن عمر، وزارة الثقافة أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٤م، ص٦١).

[١٢٤] مناقب عائشة المنوبية(مخطوطة)، روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في عهد الحفصي ،ج٢،ص٢٤٤–٢٤٥.

[١٢٥] أهم دليل تاريخي على مكانة مدينة زغوان وأهميتها في العهد الروماني وفيما بعده، معبد المياه، الذي بني في عهد الإمبراطور هادريان(١١٧م–١٣٨م)في القرن الثاني بعد الميلاد ولازالت آثاره قائمة إلى اليوم، وهو منشأة فريدة التصميم، ومجمع أثري على شكل معبد مقام على عين بسفح جبل زغوان، شيد على الطراز الروماني لعبادة الماء وتقديسه، عند البقعة التي تبدأ من عندها مسيرة الماء إلى قرطاج على أحد السفوح الشمالية لجبل زغوان، كما أنه من أكثر المعالم التي حَافظت على صبغتها الأولى واستخدمت فيه الحجارة التي جلبت من جبال زغوان وضواحيها.(فاضل هاني، المنشآت المائية، ص١٤، F.Rakob,

هو دائمًا- أهم العناصر اللازمة للحياة، وكانت الحياة اليومية للمواطنين الرومان مرتبطة به كثيرًا وبمنشآته؛ ويرجع ذلك لاهتمام الروماني بالاستحمام كل يوم. لذلك أسهم الرومان في القرنين الأول والثاني في تشييد الحنايا التي تجلب المياه إلى المدن.

وبنيت تلك الحنايا التي كانت تربط مدينة زيكا القديمة(زغوان حاليًا)بمدينة قرطاجنة، بنيت للمرة الأولى على عهد القرطاجنيين البونيقيين لتزويد مدينة قرطاجنة البونيقية بالماء(٨٢٠-١٤٦ق.م) وإن لم يكن بين أيدينا من الأدلة التاريخية ما يحدد بدقة تاريخ بناء هذه الحنايا، غير أننا نعلم أن الذي رممها وأعادها إلى العمل القيصر الروماني هادريانوس(١١٧-١٣٨م) إثر زيارته لإفريقية سنة ١٢٨م -بعد أن عانت البلاد من خمس سنوات من الجفاف-وكانت تؤمن لمدينة قرطاج اثنين وثلاثين مليون لتر من الماء يوميًّا[١٢٦]. وتنطلق هذه الحنايا إلى قرطاج في رحلة تنموية ومعمارية عجيبة لمسافة طويلة[١٢٧] تقدر بحوالي ١٣٢ كلم[١٢٨] لتكون شاهدة على فضل مياه زغوان على التنمية في قرطاج من ناحية، وعلى مدى تمكن الإنسان في ذلك العهد من فن البناء والعمارة من ناحية أخرى.

ووصفت بعض المصادر حنايا زغوان بتفنن الرومان في نقل الماء بواسطة هذه الحنايا التي تعد آية في الفن والجمال الهندسي اللطيف المنبيء عن براعة فاتنة في التصميم والدقة والإبداع في التنفيذ، فتنت

Le Sanctuaire des eaux à Zaghouan, Africa, Tunis, 1972, III – IV P. 133, Monia Adili: le complexe (hydraulique de Zaghouan-Carthage,Cultural Heritages Of Water, Tunisie,2017,pp, 109-112

[١٢٦] الرحلة الشابية ص٣٤، Ferchiou, Naïdé (1999), « les aqueducs de Zaghouan à Carthage, et leurs structures complémentaires, Note préliminaire », Afica, n°XVII, p.76

[١٢٧] مقارنة بالحنايا الرومانية القديمة، مثل أكا مرسيا Marcia Aqua في روما بإيطاليا وحنايا بروفين Brevenne في ليون بفرنسا وشرسيلCherchell في الجزائر وكاربون Craponne في ليون وأكا آبيا بروما Appia Aqua والتي تمتد على التوالي على مسافة تقدر بحوالي ٩١كلم و٦٦ و٤٥ و٢٥ و١٦ .انظر جدول حنايا قرطاج في ,(1990) ,.Clamagirand E. et al : « L'aqueduc de Carthage", La houille Blanche, n° 6, p.425.

[١٢٨] فاضل هاني،المرجع السابق، ص١٤،منية عديلي، المنظومة المائية من زغوان إلى قرطاج، ص٨٨، محمد قريرة وفتحي جراي، مقدمة تاريخية زغوان وجهتها،ص٢٩، Mahjoubi Ammar et Slim Hédi (1993), « La maîtrise de l'eau à l'époque antique », collectif, L'Homme et la maitrise de l'eau en Tunisie, Ibla, p.34 et Caillat, Ph., (1973), « Extrait d'une note sur la restauration de l'ancien aqueduc de Carthage ». Revue archéologique, XXVI, p.298.

الأدباء، وانطقت الشعراء، وسحرت البلغاء من شعراء وكتاب[١٢٩] وصارت محط أنظار الزائرين والباحثين، حتى عدها العبدري" من جملة غرائب الدنيا"[١٣٠] أما ابن خلدون فيراها من أضخم الأبنية التي شيدت في العهود القديمة، ومن إنجازات الدول العظمى[١٣١] .يقول الوزان الفاسي:"ومن زغوان أخذوا الماء في العهد الروماني إلى قرطاج ، ومازالت قناته ماثلة للعيان إلى الآن"[١٣٢] و أطلق على هذا المسلك لحنايا زغوان تسمية "طريق الماء" أو "حنايا المياه".وجاء في وصف الرحالة ابن أبي دينار أن الحنايا الرومانية من زغوان إلى قرطاج والباقية الى يومنا تدل على أمر عجيب وذهب إلى حد مقارنتها بالأهرامات في مصر، التي هي إحدى عجائب الدنيا السبع القديمة، مؤكدًا أنه إذا افتخر المصريون بأهراماتهم، فللأفارقة أن يفتخروا بهذه القناة. [١٣٣]

كما ترك لنا الباحث الألماني ف.راكوب (f.Rakob) وصفًا دقيقًا للحنايا الممتدة من جبل زغوان إلى قرطاج، يتمثل في مرور المياه المباشر تحت الأرض، وتعبر التضاريس غير المستقيمة عبر قنوات في شكل ثعبان، متبعة في ذلك التواء الهضاب، ثم تطفو فوق سطح الأرض على حافة السهل الخصب لوادي مليان ..... تعبر الساقية المقببة (البالغة ٨٠سم عرضًا وحوالي ١٨٠سم علوًا) والواقعة فوق الأقواس العالية حيث يبلغ بعضها أكثر من ٢٠عشرين مترًا علوًا ، مصففة ذات طابقين ب٣٣،٦٥م علوًا و ١٢٥،٧٨م عرضًا. إثر ذلك تنعرج الحنايا غربًا ثم تسير شمال بحيرة تونس، لتنتهي داخل مدينة قرطاج من الناحية الغربية لهضبة تهيمن طبيعيًا على حمامات أنطونيوس، في خزان كبير ذي أروقة عدة".[١٣٤]

---

[١٢٩] ذكرت بعض المصادر بيت شعر يخاطب فيه الشاعر حمامة أرسلها بكتاب من القيروان إلى تونس يقول فيه :

وفي زغوان فاستعلي علواً ودانى في تعاليك السحابا

(البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٢٢٢، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٤٤، محمد الهادي العامري، تاريخ المغرب العربي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٤م، ص٣٣).

[١٣٠] العبدري(المتوفي بعد سنة ٧٠٠هـ) رحلة العبدري، ط٢، تحقيق علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين للطباعة، دمشق، ٢٠٠٥م، ص١١١ .

[١٣١] العبر، ج٦، ص٤٠٤-٤٠٥

[١٣٢] وصف أفريقيا، ج٢، ص١٠٥.

[١٣٣] المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص٢٠-٢١.

[١٣٤] F. Rakob, Das Quellen heiligtum in Zaghouan und die römische Wasserl eitung nach Karthago, R.M. 81,1974, pp. 41-106 ،(الحبيب بن حسن ، حناية زغوان قرطاج، ص١٣٨-١٣٩) أما تاريخ بداية استعمال الحنايا فهو مرتبط بنهاية أشغال بناء الحمامات الكبرى، أي حوالي سنة ١٦٢م.كما يذكر العبدري- في أثناء وصفه لها بالجمال والإتقان- أن الروم أقاموا في تدبيرها والنظر في وضعها أربع مئة سنة"ويذكر ابن أبي دينار أنها اكتملت في ثلاثمائة سنة وأربع سنين،ويقول:" لا يستغرب طول هذه المدة لأن هذا البناء من أغرب الأبنية، وإذا كان طولها ثلاثمائة ميل ونيف وثلاثين

وعندما فتح المسلمون مدينة قرطاجنة حاضرة الروم بإفريقية في عهد حسان بن النعمان قطعوا الحنايا الرومانية[١٣٥]،فتعطل ماء زغوان عنها طيلة بقية عهد الولاة العرب إلى أن خصها الفاطميون ببعض الإصلاحات، في عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١هـ-٩٥٢م/٣٦٥-٩٧٥م)،وأمربتشييد الفسقيات، وأظهر اهتماماً كثيراً بالمنشآت المائية وخصوصاً قناطر المياه المعروفة أيضًا باسم الحنايا.

أراد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله أن يحاكي الحنايا الرومانية التي كانت تربط زغوان بقرطاجنة، فبادر سنة ٣٤٨هـ/٩٥٩م إلى بناء حنايا ضخمة بالقيروان في طريق الشريشرة، من نهر عين أيوب إلى المنصورية[١٣٦]وقبل بدء العمل، قام المعز برحلة لدراسة الساحل ومدينة تونس، وأجرى بحثًا متعمقًا حول ظروف بناء الحنايا الشهيرة بزغوان، وكيفية تشغيلها.[١٣٧]

والجدير بالملاحظة هنا أن تلك الحنايا أو قناطر المياه المنطلقة من عين أيوب-التي سميت وقتها بالنهر المعزي- كان أسلوب بنائها يشير إلى تأثرها المباشر بالحنايا الرومانية لنقل مياه جبل زغوان إلى قرطاجنة. وقد وقف عليها المعز وأعجب بها وفكر في إصلاحها :" ثم ذكر ماء جبل زغوان الذي كان يجري في قناة قرطاجنة فقال :" أما والله لو كان لنا هناك ما نسقي به لأصلحت تلك القناة ولأريته فيها، وإن كان الناس يتعاظمون أمرها ويرون أن أحدًا لا يقدر على ذلك، فليت شعري كيف جاز ذلك عندهم لمن تقدم ولا يجوز لمن تأخر".[١٣٨]

ميلاً فلا يبعد أن يكون البناء في كل سنة ميلاً مع هذا الإتقان الذي بها ".(العبدري، الرحلة، ص١١٢،ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص٢٠، الحبيب بن حسن ، حناية زغوان قرطاج ، ص١٤٠-١٤١).

[١٣٥] الوزير السراج، الحلل السندسية، ص٣٠٢

[١٣٦] المنصورية هي إحدى المدن المهمة في إفريقية، وتقع قرب مدينة القيروان، بناها المنصور أبو طاهر إسماعيل بن القائم بن المهدي العبيدي، صاحب المغرب، في الموقع المسمى بصبرة، وذلك سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م، ويعود سبب تاسيسها إلى الآثار السلبية التي خلفتها حركة أبي يزيد النكاري التي أتعبت الفاطميين كثيرًا إثر الحصار المهلك على عاصمتهم المهدية، الأمر الذي دفع الفاطميين إلى التفكير ببناء مدينة جديدة تكون عاصمة لهم في تونس.(القاضي النعمان(ت٣٦٣هـ) المجالس والمسايرات،ط١، تحقيق الحبيب الفقي، إبراهيم شبوح، محمد اليغلاوي، دار المنتظر ، بيروت، ١٩٩٦م، ص٨، ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ج١، ص٢٣٤-٢٣٥، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص١٥٦-١٥٧).

[١٣٧] القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص٣٣٣، عبد الحميد سلامة، قضايا الماء عند العرب قديمًا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٤م، ص١٢٣، سلوى الديوري، المنشآت المائية في القيروان وضواحيها عصر الفاطميين، مجلة الحياة الثقافية ، تونس، عدد ٢٠١، مارس، ٢٠٠٩م، ص٧٣-٧٥.

[١٣٨] القاضي النعمان ، المصدر السابق، ص٣٣٢-٣٣٣

ويتضح من كلام المعز لدين الله أنه فكر في إصلاح قناة زغوان وفي جلب مائها إلى المنصورية، فلم يقعده إلا خشية قطع الماء على سكان تونس وقرطاجنة.

ولما تولى الخليفة المستنصر بالله أبوعبد الله الحفصي(٦٤٧-٦٧٥هـ/ ١٢٤٩-١٢٧٦م) وبلغت الدولة الحفصية على عهده أوج عزها، حرص على إظهار فخامة مملكته، واتساع ملكه وعاصمته، فعمد إلى الحنايا الرومانية التي كانت على درجة كبيرة من الخراب، ورممها ترميمًا محكمًا[١٣٩]،وأعاد إليها الحياة وأنفق عليها أموالاً كثيرة ليوصل عبرها الماء إلى قصوره وجنانه بأبي فهر[١٤٠] بحدائق رأس الطابية، عن طريق ممر بين جدارين واستاثر بكامل مياه زغوان، إلا قليلاً وجهه نحو جامع الزيتونة بتونس وفي ذلك أوضح العبدري أن الساقية المجلوبة من ناحية زغوان قد استأثر بها قصر السلطان وجنانه إلا رشحاً يسيراً سرب إلى ساقية جامع الزيتونة يرتشف منها في أنابيب من رصاص، ويستقي منها الغرباء ومن ليس في داره ماء ويكثر عليها

[١٣٩] استخدام العرب للحنايا وترميمها لم يكن الأمر جديدًا، فقد سبقه عقبة بن نافع عندما استغل قناطر الرومان لمدينة القيروان من جبال ممس. (حسين سيد مراد، العرب في مدينة القيروان ودورهم الثقافي حتى نهاية عصر الولاة، بحوث في الدراسات الإفريقية،معهد البحث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، رقم ٤٣، ١٩٩٥م، ص٨-٩).

[١٤٠] كانت هذه الجنان عبارة عن متنزه كبير في رأس الطابية، على مقربة من مدينة تونس. ويتحدث ابن خلدون عنها حديثًا مطولاً عن تلك الجنان،فيقول:" واتخذ(المستنصر) بخارج حضرته البستان الطائر الذكر، المعروف بأبي فهر، يشتمل على جنان معروشات، اغترس فيها من شجر كل فاكهة، من أصناف التين والزيتون والرومان والنخيل والأعناب، وسائر الفواكه وأصناف الشجر، وجعل وسط هذه الرياض روضًا فسيح الساحة، وصنع فيه بحيرة كبيرة، جلب إليها الماء من الحنايا القديمة التي تجلب الماء من زغوان إلى قرطاجة، بعد أن بني لها حنايا جديدة ما تزال آثارها ماثلة إلى اليوم وراء باب سعدون وقرب رأس الطابية. وكان الماء ينبعث فوارًا في البحيرة بهندسة عجيبة، فتضرب أمواج هذا الصهريج الكبير فيصبح مثل البحر". وأشاد ابن خلدون بأيكته، وأجنحته ذات المرمر والخشب المزخرف، وحوضه الضخم الذي كان نساء البلاط يتنزهن فيه في الزوارق. لكن روعة رياض أبي فهر-المرتبطة بحسن سير حنايا زغوان التي رممت لفائدته، تناقصت عندما أصبحت تلك الحنايا من جديد غير مستعملة بسبب قلة الصيانة.(ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٤٠٤-٤٠٥، محمد العروسى المطوى،السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م، ص٢٢٠-٢٢١،، روبار برنشفيك، إفريقية في العهد الحفصي،ج١،ص٣٨٧).

الازدحام[١٤١] ولهذا السبب أنشأ الحفصيون فرعين جديدين لجلب الماء، يتجه الأول نحو المدينة والثاني نحو جنان أبي فهر[١٤٢] قرب ضاحية أريانة ".[١٤٣]

وقد أكمل المستنصر بالله الحفصي بناء حنايا زغوان- حسبما يذكر ابن القنفذ-سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م[١٤٤]وفي رواية الزركشي[١٤٥] سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧م،وصرف مياهها إلى جنته بقصر أبي فهر.[١٤٦]

---

[١٤١] رحلة العبدري، ص١١٠، الوزير السراج، الحلل السندسية، ص٣٠٢، محمد حسن ، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، جامعة تونس الأولى ،١٩٩٩م، ص٤٠٠

[١٤٢] Daoulati, Abdelaziz (1993), L'alimentation en eau de Tunis sous le règne des Hafsides, collectif, L'Homme et la maitrise de l'eau en Tunisie, Ibla, p.42

[١٤٣] عون مكرازي، المنشآت المائية القديمة في الوطن العربي، المجلة العربية العلمية للفتيات ، المنظمة العربية للتربية والثقافة ، العدد٢٦، ٢٠١٦م، ص١٨-١٩

[١٤٤] الفارسية في مباديء الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨م، ص١٢٧-١٢٨

[١٤٥] الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص٣٨

[١٤٦] وقد مدح الأديب حازم بن محمد القرطاجني الأمير المستنصر لتجديده هذه الحنايا بقوله:

أجريت من عين ومن عين بها عينين قد عما البرايا و البرى
وسقت في ملاوة ما ساق في دهر طويل كل جبار عتا
وكفرت طاعته لمؤمن طاعته لكافر فيما مضى

(أبو الحسن حازم القرطاجني(ت٦٨٤هـ) منهاج البلغاء وسَراج الأدباء، ط٣، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي بيروت، ١٩٨٦م، ص٨٢،ابن الشماع(ت٨٩٤هـ) الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م، ص٦٨)

كما وصف حازم القرطاجني[١٤٧]جبل زغوان الذي لم يضعف جريان ماؤه في عهد المستنصر حتى بلغ العاصمة تونس، بعد أن استعصى ذلك الماء على حكام إفريقية من قبله، ثم ذلل له، وتدفق في قصره (قصر أبي فهر) الذي زها على جميع قصور الدنيا.[١٤٨]

ويبدو أن عملية إحياء حنايا زغوان لم تشمل جميع الحنايا، بل جزء يسير منها، ولم يمكنه رد أمرها إلى ما كان عليه ولا ما يقرب منه بل اقتنع بتسديده كيفما أمكن[١٤٩]يؤكد ذلك ابن دينار الذي يذكر أن الخليفة المستنصر الحفصي على الرغم من ضخامة ملكه وعلو سلطته وارتفاع صيته لم يستطع إصلاح بعض ما فسد من حنايا زغوان، ولا قدر على ردها كما كانت أول مرة، بل عجز عن بنائها بالحجر وجعل أقواسها طابية [١٥٠]– وهي أقواس يسيرة–وجلب الماء إلى البركة التي هناك وهي باقية إلى الآن[١٥١]

---

[١٤٧] هو أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني الخزرجي، أديب وعالم وشاعر من أهل قرطاجنة ولد سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م، نعته المقري في نفح الطيب بـ "الناظم الناثر" كما أثنى عليه العبدري في رحلته ، قدم تونس، ومدح الخليفة المستنصر بمقصورته المشهورة، وتوفي في سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م في تونس.(المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة فضالة، د.ت، ج٣، ص١٧١–١٧٢، العبدري، الرحلة، ص٥٢٣، الشيخ محمد النيفر، عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسي من عالم أديب، ط١، دار الغرب الإسلامي،١٩٩٦م،ص٤٠٠).

[١٤٨] فتن الشعراء بحنايا زغوان، ومجدوا بانيها، ووصف حازم القرطاجني هذه الحنايا بدقة، وقدم لنا عنها معلومات فريدة لم ترد في كتب المؤرخين، خاصة ما أضفته على الطبيعة من حولها من جمال، وما أحاط بها من قصور خاصة في رياض أبي فهر. وجاء شعرهم في هذا الغرض راسمًا مدى تغير وجه تونس الحضاري في أوائل العهد الحفصي بل إن حازم القرطاجني خصص قسمًا من مقصورته لوصف حدائق أبي فهر قريبًا من بحيرة فائقة بالماء العذب المجلوب من جبل زغوان ، فيقول:

وطود زغوان دعوت ماء فلم يزغ عن طاعة ولا ونى
بل رأى نقيض تقطيع اسمه في جوبه الأرض مجيبًا من دعا
وأذعن الطود لطود باذخ أشم يستذرى به و يحتمى

(أبو الحسن حازم القرطاجني، قصائد ومقطعات، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ٢٠٠٨م، ص١٠٦، ١٨١–١٨٢، الشريف السبتي(ت٧٦٠هـ) رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة ، تحقيق محمد الحجوي،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية،١٩٩٧م،ج١، ص٤٣٦–٤٣٧، أحمد الطويلي، الحياة الأدبية بتونس في العهد الحفصي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القيروان،١٩٩٦م، ص٤٣٣–٤٣٤)

[١٤٩] العبدري، الرحلة، ص١١٢

[١٥٠] المؤنس في أخبار إفريقية، ص٢١

[١٥١] تطاول الدهر على الحنايا الرومانية في زغوان،فوقعت فريسة الإهمال والخراب، وصارت عرضة للهدم في الحروب، وربما بعد سنوات قليلة من وفاة المستنصر ؛إذ يقول أبو بكر بن حبشي

الخاتمة

من خلال دراستنا لمدينة زغوان أمكن التوصل إلى النتائج الآتية :

١- زغوان اسم يطلق على منطقة تضم عددًا من المدن والقرى الرومانية القديمة ، والتي تميزت بالطابع العسكري عبر تاريخها منذ ماقبل الفتح الإسلامي واستمر بعده، وكانت مسكنًا ومستقرًا للوافدين والغرباء ،إضافة إلى أهلها من البربر.

٢- إن قرب زغوان من الحاضرة تونس وأيضًا القيروان، وفي مفترق طرق مهمة،أكسبها أهمية اقتصادية وتجارية في إفريقية.

٣- لم تحظ مدينة زغوان وجهتها باهتمام كبير من طرف المصادر العربية زمن الفتوحات الإسلامية وخلال العصر الوسيط، إذ كل ما يتوفر بشأنها إشارات متفرقة وردت ضمن أوصاف بعض الرحالة والجغرافيين الذين أعجبوا بمعالمها التاريخية أو في علاقة بأحداث تاريخية عامة، على أنه لم يتم إفراد مدينة زغوان لوحدها وإنما كان الاهتمام بالجهة بأكملها ولاسيما بجبلها والمدن والقرى المجاورة لها مثل فحص أبي صالح والأربس وطنبذة وجزيرة شريك.

تمتع من بقايا للحنايا بأبدع منظر تصبو إليه
تأمل صنع ارمها البواقي وقد مد الفناء لها يديه
كسطر بعض أحرفه تمحَّى وبعض لاح مضروبًا عليه

وفي القرن ٨هـ/ ١٤م أثرت الاضطرابات التي شملت البلاد بالسلب في صيانة الحنايا.وفي النصف الأول من القرن ٩هـ/١٥م أمر السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز ببناء خزاني مياه مما يدل على أن هذه الحنايا كانت حتى ذلك الوقت تمد العاصمة بكميات مهمة من المياه ومن المحتمل أن يكون الأمير الحفصي أبوعمرو عثمان(٨٣٩-١٤٣٥/ ٨٩٣هـ-١٤٨٧م) قد رممها وقام بصيانتها؛ إذ من المعروف عنه أنه أمر ببناء عدد من المنشآت المائية المهمة بمدينة تونس، وفصل بين الصهاريج الملكية بباردور التي تزود سكان تونس بالماء مما جعل المياه تصل إليها بانتظام.(الشريف السبتي، رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة،ج١، ص٤٣٨-٤٣٩، الوزير السراج، الحلل السندسية، ص٣٠٩، الشيخ محمد النيفر، عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية،ص٢٧٩، برنشفيك، إفريقية في العهد الحفصي،ج١، ص٣٨٧-٣٨٨، أحمد الطويلي، الحياة الأدبية في تونس، ص٤٣٥).

٤- يستفاد من المصادر التاريخية أن زغوان قد فتحت في مناسبتين أو مرحلتين ، على يدي حسان بن النعمان(٧٤هـ-٦٩٣م/ ٨٥هـ-٧٠٤م)لوجدها على طريقه من القيروان إلى قرطاجنة، وفي مناسبة ثانية في زمن الوالي موسى بن نصير أواخر القرن الأول الهجري في إطار بسط نفوذ ولايته الجديدة على إفريقية.

٥- إن القادة السابقين على حسان بن النعمان لم يفكروا في القضاء على الوجود الرومي في قرطاجنة وزغوان خشية من مواجهة الروم؛ لأنها مناطق بحرية والروم تأتيهم الإمدادات والمساعدات عبر البحر، كما أنه لم تكن للمسلمين القوة الكافية للقضاء ذلك على النفوذ الرومي.

٦- أول من تعامل مع الروم والبربر في أهم معاقلهم الساحلية هوحسان بن النعمان؛ ويرجع ذلك إلى تطور الفتوحات الإسلامية في إفريقية في اتجاه تأمين الفتوحات،وإتمام السيطرة على البلاد، بالقضاء على خطر الروم في قرطاجنة وزغوان .

٧- قاد موسى بن نصير حملة للقضاء على بقايا مقاومة البربر، وإخضاع بعض قبائلهم الخارجة عن الطاعة في إقليم زغوان،بعد نقضهم العهد.ولعل موسى بن نصير أدرك الخطر البيزنطي البربري من هذه الناحية،لاسيما بعد ان خرب حسان قرطاجنة ودمرها،واتخذ من تونس عاصمة،كما أدرك موسى جيدًا أهمية مدينة زغوان بالنسبة لتونس وأهميتها مصدرًا للمياه .

٨- انتهج موسى بن نصير سياسة جديدة، تتضمن عزماً أكيداً على فتح المغرب بالسيف والعنف مع اصطناع الحذر،وأخبر قادة جيوش أنه سيسعى أول ما يسعى لاحتلال الجبال والشعاب القريبة؛ لأن العدو يأتي منها، كما رسم موسى بن نصير في خطبته معالم سياسته القائمة على تصفية جيوب المقاومة وتتبع فلول المخالفين فيما بعُد من المناطق،على خلاف أسلافه الذين كانوا يتركون العدو خلفهم، وينطلقون إلى أقصى البلاد. وعلى هذا الأساس بدأ بفتح قلعة زغوان وما يجاورها سنة ٨٥هـ.

٩- تغيب جهة زغوان أو تكاد بشكل شبه كلي من المصادر التاريخية لفترة العصر الإسلامي باستثناء بعض الأحداث المتفرقة على غرار الدور الذي قامت به مدينة الفحص (فحص أبي صالح) وخاصة أثناء بعض الحملات العسكرية خلال العصرين الأغلبي والفاطمي.

١٠- إبان الهجرة الهلالية عرفت زغوان استقرار قبائل بن رياح، وانتشر فيها نمط العيش البدوي ثم اشتهرت باستقطابها للعباد والنساك والصالحين من الرعيل الأول ولاسيما أقطاب الشاذلية تواصلا لما كانت عليه المنطقة عليه خلال القرون الأولى للفتح الإسلامي من أن جبلها كان مأوى للصالحين وخيار المسلمين.

١١- تشتهر زغوان بوجود الحنايا أو قناطر المياه الرومانية التي توصل المياه من جبل زغوان إلى قرطاجنة، وهي من أضخم الأبنية التي شيدت في العصور القديمة ولم يبدأ تجديد حنايا زغوان خلال العصر الإسلامي إلا زمن الحفصيين، من طرف السلطان الحفصي المستنصر بالله في سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٨م وتغيير مسارها جزئيا لتزويد مدينة تونس وجنان أبي فهر بالماء على الرغم من محاولة الفاطميين ذلك .

١٢- عاش في الغرب الإسلامي خلال عصري الموحدين والحفصيين الكثير من الصالحين، الذين اتخذوا التصوف منهجاً لحياتهم ، وكانت زغوان ثغرًا من الثغور الإسلامية المهمة، ومنزلاً للعلماء وشيوخ التصوف والزهاد والمرابطين للجهاد الذين يميلون إلى العزلة عن مراكز النفوذ، وموقعًا يرابط فيه المجاهدون. وأقام المرابطون والمتصوفون حول جبل زغوان،فصار مدرسة يتخرج فيها أصحاب الطرق ومشايخ الزوايا، أمثال أبي الحسن الشاذلي، وعائشة المنوبية، وغيرهم.

الصور والخرائط

معبد المياه بزغوان نقلا عن فاضل هاني، المنشآت المائية التقليدية وتوظيفها السياحي بالبلاد التونسية مسلك حنايا المياه–من زغوان إلى قرطاج أنموذجا، ص١٥

صورة قناة جر مياه زغوان – قرطاج (نقلاً عن منية عديلي، المنظومة المائية من زغوان الى قرطاج،ص٨٨)

٧

معبد المياه بزغوان، نقلاً عن نافذة على جمعية التجوال والبيئة بزغوان ص٧

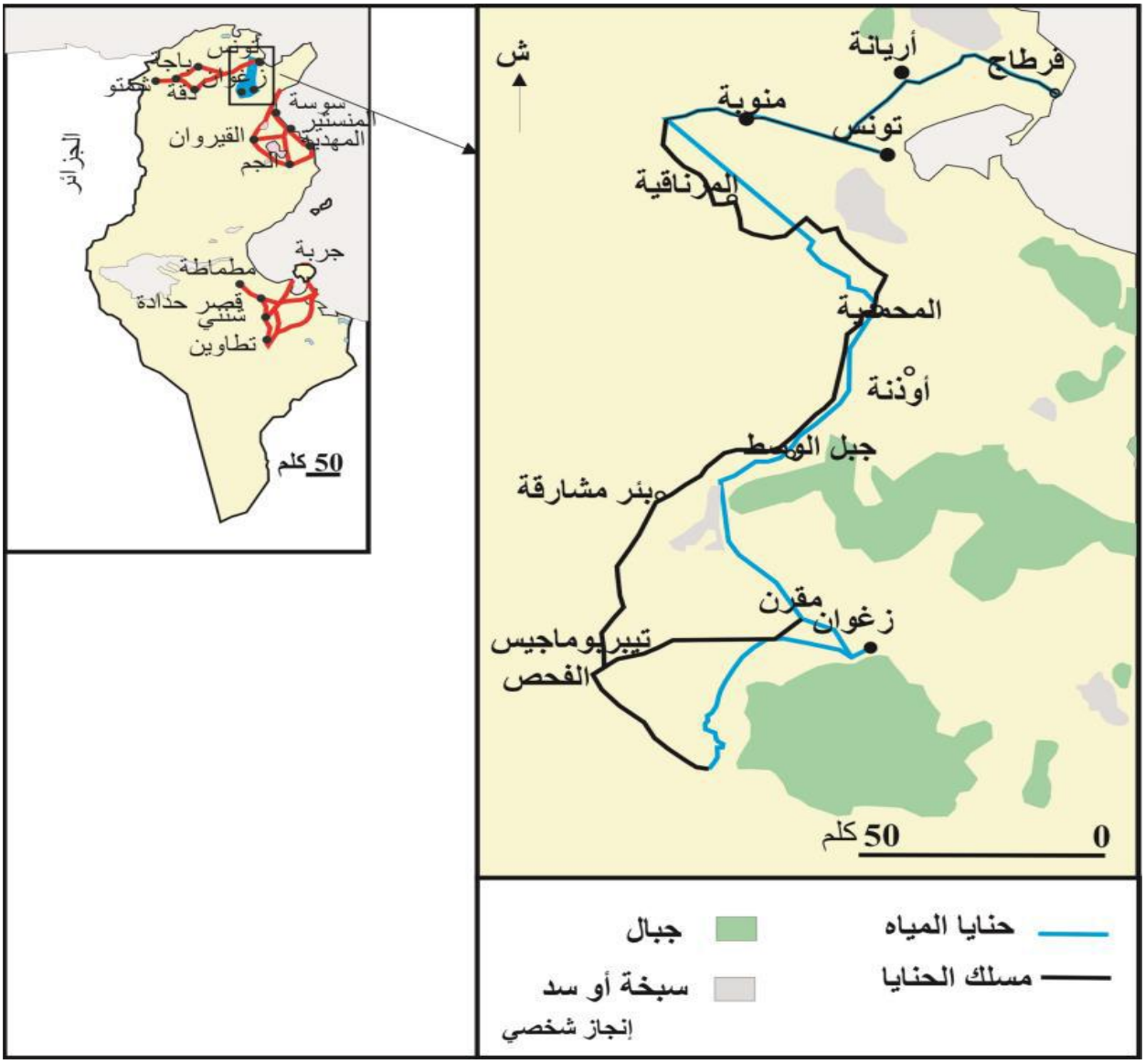

نقلاً عن فاضل هاني، المنشآت المائية التقليدية وتوظيفها السياحي بالبلاد التونسية مسلك حنايا المياه–من زغوان إلى قرطاج أنموذجا ،ص١٤

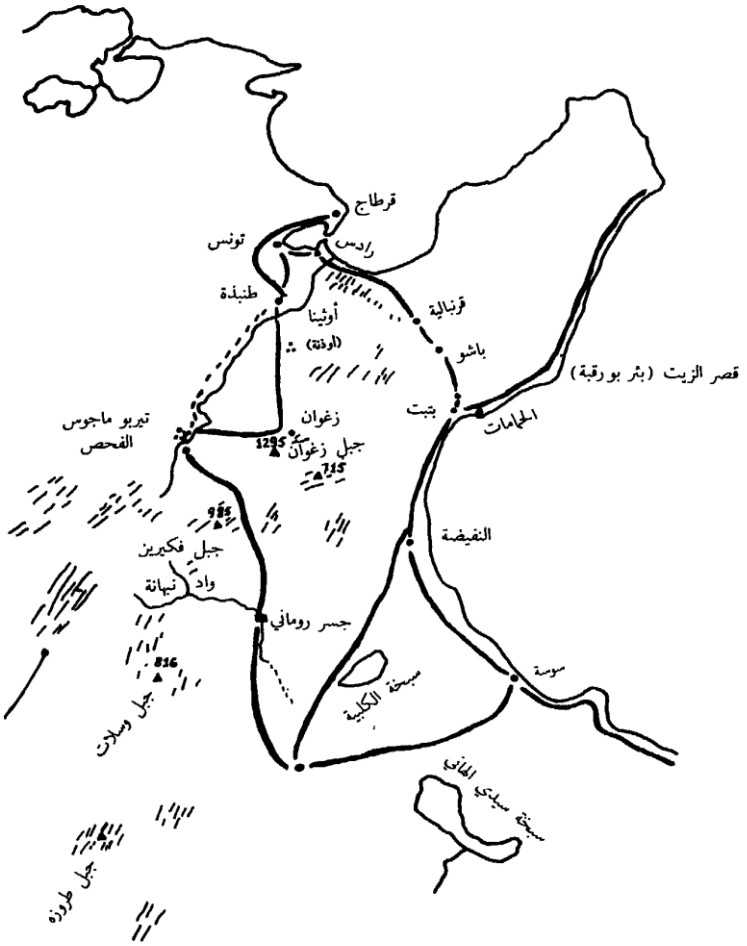

نقلا عن، محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، ص١٩٩

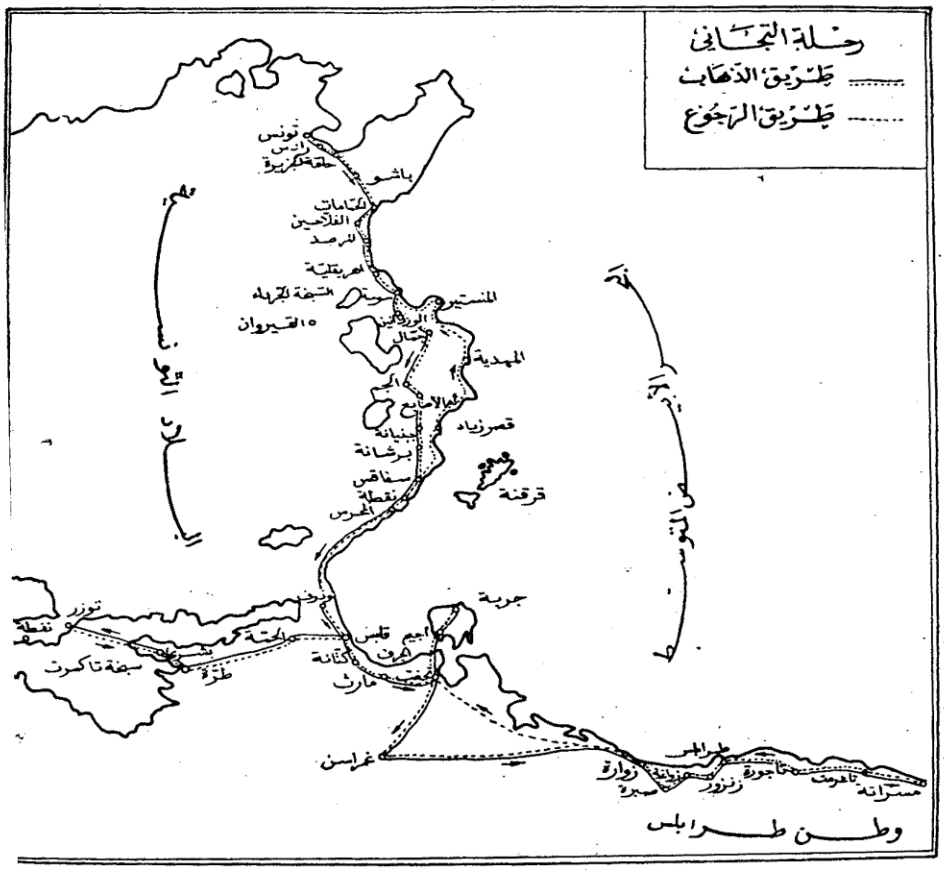

نقلاً عن التجاني ، الرحلة، مقدمة المحقق

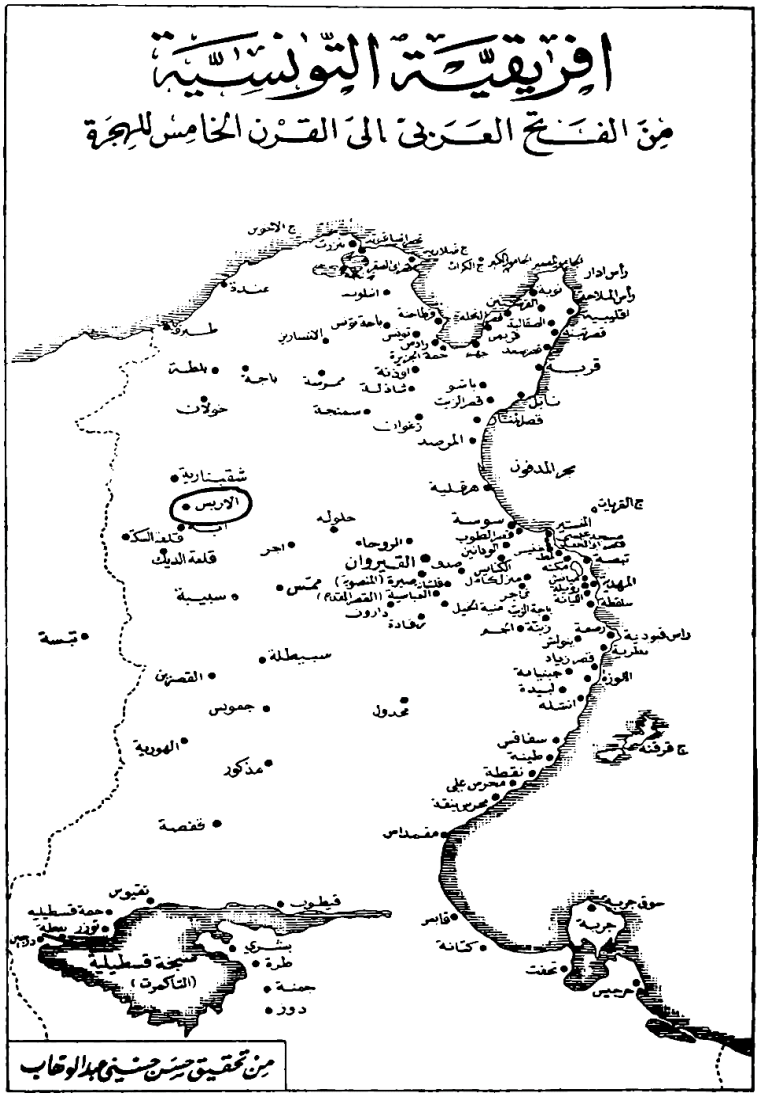

نقلاً عن كتاب حسن حسني عبد الوهاب ،خلاصة تاريخ تونس، ط١، تحقيق حمادي الساحلي، دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩١٨م ، ص٦٨

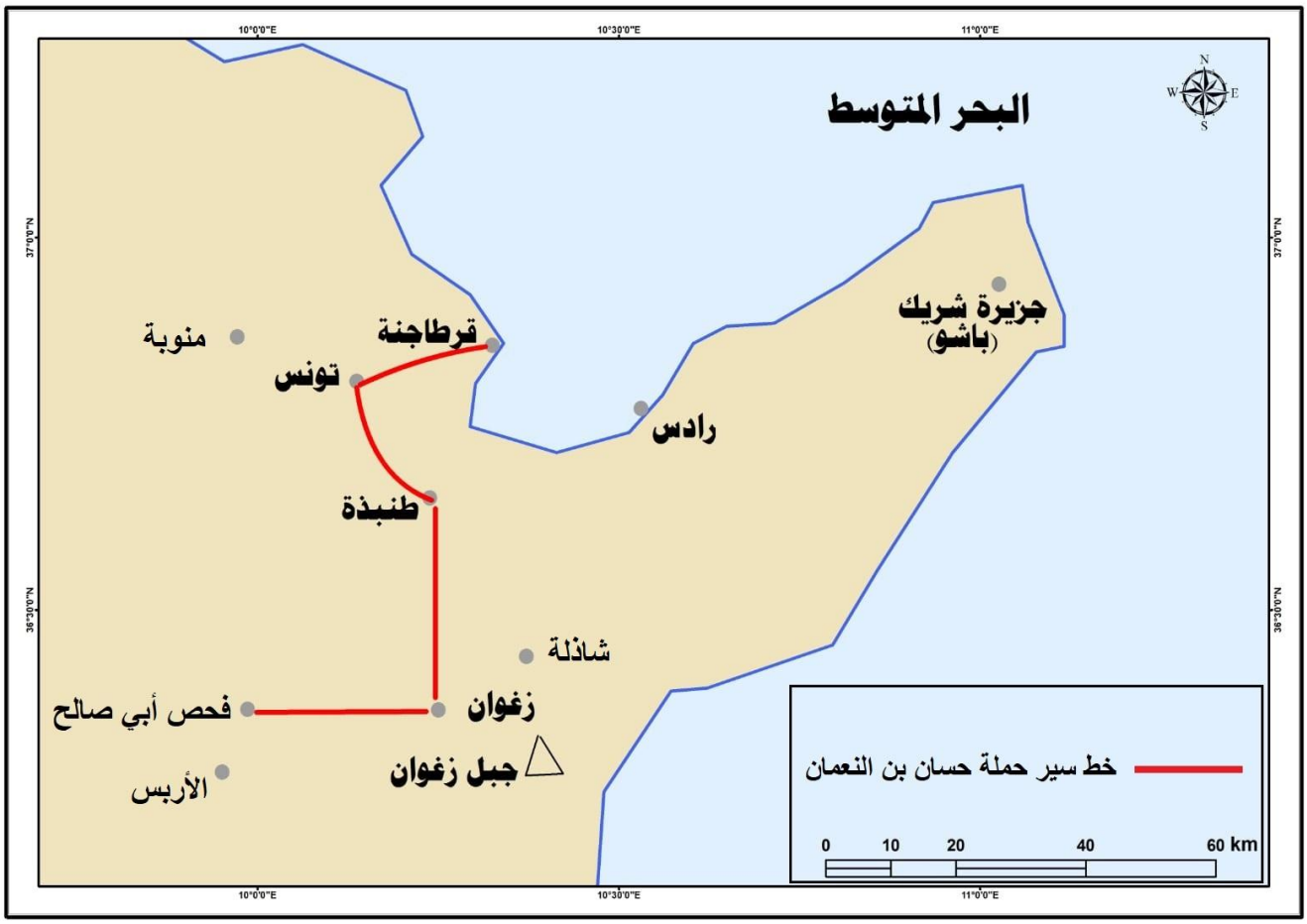

خريطة عن مسير الوالي حسان بن النعمان لمدينة زغوان موضحاً بها بعض المدن والقرى القريبة من زغوان (من عمل الباحث اعتمادًا على بعض المصادر والمراجع)

قائمة المصادر والمراجع

- المخطوطات

١- مناقب السيدة المنوبية، مخطوطة بدار الكتب الوطنية، تونس.

- المصادر

٢- ابن الأبار (ت٦٥٨هـ) الحلة السيراء، ط٢، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.
٣- ابن الأثير(ت٦٣٠هـ)،الكامل في التاريخ،تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت،٢٠١٢م.
٤- البكري(ت٤٨٧هـ)،المسالك والممالك، ط١، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
٥- ----------، المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.
٦- البلاذري(ت٢٧٩هـ) فتوح البلدان، تحقيق أحمد شوقي أبو خليل، منشورات وزارة الثقافة،دمشق، ١٩٩٧م.
٧- بيرم الخامس التونسي(ت١٣٠٧هـ) صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار ،ط١، دار صادر بيروت، د.ت.
٨- التادلي(كان حيًّا في أواخر القرن العاشر الهجري)، المعزى في مناقب سيدي أبي يعزى، تحقيق علي الجاوي، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط، ١٩٩٦م.
٩- التجاني(ت بعد سنة ٧١٧هـ)الرحلة، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨١م.
١٠- ابن عبد الحكم(ت٢٥٧هـ) فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، د.ت.
١١- الحميري(ت ٧٢٧هـ)، الروض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٨٤م.
١٢- ابن الخطيب(ت٧٧٦هـ)،أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام، تحقيق أحمد مختار العبادي، ومحمد إبراهيم الكتاني، نشر دار الكتاب، الدار البيضاء،١٩٦٤م.
١٣- ابن خلدون(ت٨٠٨هـ) العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربرومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق ومراجعة سهيل زكار، خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١م.
١٤- ----------، مقدمة ابن خلدون، ط١، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب ، دمشق، ٢٠٠٤م.

١٥- ابن خلكان(ت٦٨١هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.
١٦- ابن خياط(ت٢٤٠هـ) تاريخ خليفة بن خياط، ط١، مراجعة مصطفى نجيب فواز، حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٥م.
١٧- الدباغ(ت٦٩٦هـ) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان،ط٢، تصحيح وتعليق إبراهيم شبوح، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٨م.
١٨- الإدريسي(ت٥٦٠هـ)نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشر مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،د.ت.
١٩- الذهبي(ت٧٤٨هـ) سير أعلام النبلاء، ط١١، تحقيق شعيب الأرنؤوط، أكرم البوشيى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م.
٢٠- ابن أبي دينار (المتوفي بعد سنة ١١١٠هـ) ،المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط١، مطبعة الدولة التونسية، ١٢٨٦هـ.
٢١- الرقيق القيرواني(ت بعد ٤١٧هـ)، تاريخ إفريقية والمغرب،ط١، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني ،القاهرة، ١٩٩٤م.
٢٢- الزركشي(ت٧٩٤هـ)تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ط٢، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٦٦م.
٢٣- أبو الفضل عبد القادر الشاذلي(ت٨٩٤هـ) الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء يقظة بسيد الدنيا والآخرة، ط١، تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح، توفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠١٠م.
٢٤- السبكي(ت٧٧١هـ)،طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي، دار احياء الكتب العربية، دمشق، ١٩٦٩م.
٢٥- السلاوي الناصري(١٣١٥هـ)الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولتان المرابطية والموحدية،تحقيق جعفر الناصري ومحمدالناصري ،دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤م.
٢٦- الشريف السبتي(ت٧٦٠هـ)،رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة ، تحقيق محمد الحجوي،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية،١٩٩٧م.
٢٧- الشعراني(ت٩٧٣هـ) الطبقات الكبرى(المسمى لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية)طبع بمصر، د.ت.
٢٨- ابن الشماع(ت٨٩٤هـ)، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م.
٢٩- ابن الصباغ(كان حيًا ٧٣٣هـ) درة الأسرار وتحفة الأبرار، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠١م.

٣٠- ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، د.ت.

٣١- الطرودي(ت١١٦٧هـ) جامع العبارات في تحقيق الاستعارات، ط١، تحقيق محمد رمضان الجربى، الدار الجماهيرية العربية، ليبيا، ١٩٨٦م.

٣٢- ابن طوير(ت١٢٦٥هـ) رحلة المنى والمنة، تحقيق رحماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت،د.ت

٣٣- العبدري(المتوفي بعد سنة ٧٠٠هـ) ، رحلة العبدري، ط٢، تحقيق علي ابراهيم كردي، دار سعد الدين للطباعة، دمشق، ٢٠٠٥م.

٣٤- ابن عذاري(كان حيًا ٧١٣هـ)،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط٣، تحقيق ج. س.كولان، أ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٤٨م.

٣٥- ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن، ط٣، تحقيق، عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٣٦- ابن عيشون(ت١١٠٩هـ) الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين بأهل فاس،ط١، تحقيق زهراء النظام، منشورات كلية الآداب ، الرباط، ١٩٩٧م.

٣٧- أبو الفداء(ت٧٣٢هـ)، كتاب تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت.

٣٨- قاسم مخلوف(ت١٣٦٠هـ)،شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،ط١، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

٣٩- القادري (١١٨٧هـ)التقاط الدُرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، ط١، تحقيق هاشم العلوي القاسمي،منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣م.

٤٠- القاضي النعمان(ت٣٦٣هـ)افتتاح الدعوة،ط٢، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٨٦م.

٤١- ----------، المجالس والمسايرات،ط١، تحقيق الحبيب الفقي، إبراهيم شبوح، محمد اليغلاوي، دار المنتظر ، بيروت، ١٩٩٦م.

٤٢- ابن قتيبة(ت٢٧٠هـ)،الإمامة والسياسة، مطبعة الفتوح الأدبية، القاهرة، د.ت.

٤٣- أبو الحسن حازم القرطاجني(ت٦٨٤هـ) ،منهاج البلغاء وسَراج الأدباء، ط٣، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي بيروت، ١٩٨٦م.

٤٤- ----------، قصائد ومقطعات، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ٢٠٠٨م.
٤٥- القزويني(ت٦٨٢هـ)،عجايب المخلوقات وغرايب الموجدات، ط١، تحقيق علي صراط، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٠م.
٤٦- ابن القطان(المتوفي منصف القرن السابع الهجري)نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان،ط٢، محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.
٤٧- القلقشندي(ت٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢م.
٤٨- ----------، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب "تحقيق ابراهيم الأبياري، طبع القاهرة، ١٩٥٨م.
٤٩- ابن القنفذ(ت٨١٠هـ)، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨م.
٥٠- المالكي(ت٤٤٩هـ) ،رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، ط٢، تحقيق بشير البكوش، مراجعة محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م.
٥١- المراكشي(ت٦٤٧هـ) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط١، تحقيق محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة ، القاهرة، ١٩٤٩م.
٥٢- المراكشي(مؤلف مجهول) كان حيًا في القرن السادس الهجري) الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول ، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥م.
٥٣- المقري(ت١٠٤١هـ) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ،١٩٦٨م.
٥٤- ----------، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة فضالة، ج٣، د.ت.
٥٥- المقريزي(ت٨٤٥هـ)،اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد ، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ١٩٩٦م.
٥٦- ----------،المقفى الكبرى، تحقيق محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م.

٥٧- النويري(ت٧٣٣هـ)،نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق نجيب مصطفى فوار، حكمت كشلي فوار، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٥م.
٥٨- الهمداني(ت٣٣٤هـ) صفة جزيرة العرب، ط١، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الارشاد، صنعاء، ١٩٩٠م.
٥٩- الوزان الفاسي ، وصف أفريقيا ،ط٢، . ترجمة محمد حجي ، محمد الأحضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ١٩٨٣م
٦٠- الوزير السراج(ت١١٤٩هـ)،الحلل السندسية في الأخبار التونسية، ط١، مطبعة الدولة التونسية،١٢٨٧هـ.
٦١- ياقوت الحموي(ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان،دار صادر،بيروت،١٩٧٧م .
٦٢- اليعقوبي(ت٢٨٤هـ) كتاب البلدان، تحقيق محمد أمين ضناوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

- **المراجع**

٦٣- أحمد حمروني ، معجم المدائن التونسية ، ميديا كوم، ١٩٩٨م.
٦٤- أحمد الطاهري،إمارة بني صالح في بلاد نكور، الدار البيضاء،١٩٩٨م.
٦٥- أحمد الطويلي،الحياة الأدبية بتونس في العهد الحفصي،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القيروان،١٩٩٦م.
٦٦- أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت،١٩٧١م .
٦٧- إدريس بن الصغير ،نافذة على جمعية التجوال والبيئة بزغوان، مراجعة على عزوز القنوشي، جمعية التجوال والبيئة، زغوان ،٢٠٠٩م.
٦٨- البستاني، دائرة المعارف،مطبعة الأديبة، بيروت،١٨٨٧م.
٦٩- الحبيب بن حسن ، حناية زغوان قرطاج، مجلة الحياة الثقافية الشهرية، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث ، تونس، عدد١٩١، ٢٠٠٨م.
٧٠- حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطي ، دار الفكر العربي،القاهرة، دت.

٧١- حسين سيد مراد، العرب في مدينة القيروان ودورهم الثقافي حتى نهاية عصر الولاة، بحوث في الدراسات الإفريقية، معهد البحث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، رقم ٤٣، ١٩٩٥م

٧٢- حسن جلاب ، دولة المرابطين قضايا وظواهر، ط١، المطبعة والوراقة الوطنية، المملكة المغربية، ١٩٩٥م

٧٣- حسين مؤنس، فجر الأندلس،ط٢،دار المناهل، بيروت،٢٠٠٢م

٧٤- ----------، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

٧٥- حسن حسني عبد الوهاب، العُمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، ط١، مراجعة محمد العروسي المطوى ، بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م

٧٦- ----------، شهيرات تونسيات، المطبعة التونسية، ١٣٥٣هـ.

٧٧- ----------،خلاصة تاريخ تونس، ط١، تحقيق حمادي الساحلي، دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩١٨م.

٧٨- الشيخ حسين خوجه، ذيل كتاب بشائر أهل اليمان في فتوحات آل عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠١م.

٧٩- دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة محمد ثابت فندي،وإبراهيم زكي خورشيد، وعبد الحميد يونس،وأحمد الشنتناوي، جامعة إنديانا، ١٩٣٣م.

٨٠- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)،منشأة المعارف ،الإسكندرية ،١٩٩٣م.

٨١- الشيخ محمد النيفر، عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب، ط١، دار الغرب الإسلامي،١٩٩٦م.

٨٢- عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٠م.

٨٣- عبد الحميد سلامة، قضايا الماء عند العرب قديمًا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٤م.

٨٤- عثمان الكعاك، الرحلة الشابية، تحقيق محمد رؤوف بلحسن، تونس، ٢٠٠٩م.

٨٥- عبد السلام الترمانيني،أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين،ط١،ريع الدار ،دمشق،١٩٩٤م.

٨٦- ابن عياد، المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، دار الكتبي، القاهرة، ١٩٣٧م

٨٧- عبد الحليم محمود، المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها، دار النصر للطباعة، القاهرة، د.ت.

٨٨- عبد الواحد طه ذنون، موسى بن نصير ،نوابغ الفكر العربي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،١٩٨٨م.

٨٩- عبد العزيز بنعبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٩٧٥م.
٩٠- محمد العروسى المطوى،السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م.
٩١- محمد الهادي العامري،تاريخ المغرب العربي، الشركة التونسية للتوزيع،١٩٧٤م.
٩٢- محمد بن سعيد مقديش(ت١٢٢٨هـ)، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ومناقب السادة الأطهار، تحقيق محمد عثمان، دار الكتب العلمية، ٢٠١١م.
٩٣- محمد حسن ، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، جامعة تونس الأولى ،١٩٩٩م
٩٤- مصطفى أبو ضيف أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية منذ الفتح حتى سقوط الدول المستقلة ، ط١، دار النشر المغربية،١٩٨٦م.
٩٥- مصطفى أبو ضيف أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين، ط١، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء، ١٩٨٢م.
٩٦- محمد المنوبي، إحياء علوم الدين في منظور الغرب الإسلامي أيام المرابطين والموحدين، ندوة أبي حامد الغزالي، دراسات في فكره وعصره وتأثيره، مطبعة المحمدية، المغرب، ١٩٨٨م
٩٧- محمد الكحلاوي، الفكر الصوفي في الإسلامي والغرب الإسلامي، ط١، دار الطليعة للطباعة، بيروت، ٢٠٠٩م.
٩٨- محمد زروق :الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين ١٦-١٧، ط٣، أفريقيا الشرق ،المغرب،١٩٩٨م.
٩٩- محمد البهلي البيال، الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي، مكتبة النجاح ، تونس، ١٩٦٥م.
١٠٠- نسيبة الحريري ،المقاييس والمقداييير عند العرب،دار الفضيلة للنشر،القاهرة ،د.ت
١٠١- نجوان أبو بكر محمد، تاريخ إفريقية السياسي والحضاري،ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة ،٢٠١٣م.

- **المراجع المعربة**

١٠٢- أندريه رايمون :المدن العربية الكبرى في العصر العثماني ،ترجمة:لطيف فرج ،دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ،القاهرة ١٩٩١م.
١٠٣- فالترهنتيس،المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمه عن الألمانية، الدكتور كامل العسيلي، منشورات الجامعة الأردانية،عمان، ١٩٧٠م.
١٠٤- إدموند دوتي، الصلحاء، ترجمة محمد ناجي بن عمر، وزارة الثقافة ،أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٤م.
١٠٥- روبار برنشفيك، إفريقية في العهد الحفصي من القرن ١٣ إلى نهاية القرن ١٥م، ط١، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.

- **الدوريات والاطروحات**

١٠٦- حسين مؤنس، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الثالث، ١٩٥٥م.
١٠٧- فاضل هاني، المنشآت المائية التقليدية وتوظيفها السياحي بالبلاد التونسية مسلك حنايا المياه–من زغوان إلى قرطاج أنموذجا ، مجلة العلوم الاجتماعية، جانفي، العدد ٢٢، لسنة ٢٠١٧م.
١٠٨- عون مكرازي، المنشآت المائية القديمة في الوطن العربي، المجلة العربية العلمية للفتيات ، المنظمة العربية للتربية والثقافة ، العدد٢٦، ٢٠١٦م
١٠٩- محمد عبد الله عنان، تستور بلد الموريسكيين الأندلسيين، مجلة العربي ، العدد ١٥٦، ١٩٧١م.
١١٠- محمد قريرة وفتحي جراي، مقدمة تاريخية زغوان وجهتها من الفترة القديمة إلى الفترة المعاصرة ، مجلة مختارات من الأيقونة التراثية بولاية زغوان، شركة ميم للنشر، تونس، ٢٠١٨م.
١١١- السيد البشير الفورتي، أبو الحسن الشاذلي، المجلة الزيتونية ، مجلة علمية أدبية أخلاقية، تصدرها هيئة من مدرسي الجامع الزيتونة المعمور، مطبعة الإرادة التونسية ، العدد الثامن، لسنة ١٩٤٦م.
١١٢- سلوى الديوري، المنشآت المائية في القيروان وضواحيها عصر الفاطميين، مجلة الحياة الثقافية ، تونس، عدد ٢٠١، مارس، ٢٠٠٩م.
١١٣- منية عديلي، مجلة التراث الثقافي للماء في الشرق الأوسط والمغرب العربي، ط٢، المركز الإقليمي العربي للتراث العالمي ، فرنسا، ٢٠١٩م.

- المراجع الأجنبية

١١٤- F.Rakob, Le Sanctuaire des eaux à Zaghouan, Africa III – IV P. 133. Tunis, 1972.

١١٥- Monia Adili: le complexe hydraulique de Zaghouan-Carthage,Cultural Heritages Of Water, Tunisie,2017

١١٦- Ferchiou, Naïdé (1999), « les aqueducs de Zaghouan à Carthage, et leurs structures complémentaires, Note préliminaire », Afica, n°XVII,

١١٧- Clamagirand E. et al., (1990), « L'aqueduc de Carthage", La houille Blanche, n° 6

١١٨- Mahjoubi Ammar et Slim Hédi (1993), « La maîtrise de l'eau à l'époque antique », collectif, L'Homme et la maitrise de l'eau en Tunisie, Ibla

١١٩- Caillat, Ph., (1973), « Extrait d'une note sur la restauration de l'ancien aqueduc de Carthage ». Revue archéologique, XXVI

١٢٠- F. Rakob, Das Quellen heiligtum in Zaghouan und die römische Wasserl eitung nach Karthago, R.M. 81,1974

١٢١- Daoulati, Abdelaziz (1993), L'alimentation en eau de Tunis sous le règne des Hafsides, collectif, L'Homme et la maitrise de l'eau en Tunisie, Ibla

١٢٢- Sonneck, six chansons arabes en dialecte maghrebin in jour . asiat, IX. Serie tXII, mai-juin 1899, n 3 p.417 et t.14 juillet- aout 1898, n4